السبت 23 كانون الأول 2023
العدد 5093 السنة الثامنة عشرة
Samedi 23 Décembre 2023 nº 5093 18ème année

24 صفحة
50000 ليرة

الأخبار
al-akhbar

www.al-akhbar.com

كلمات

فرنسا في القرن الحادي والعشرين
حرب غزة أطلقت محرقة الكتب

عماد عثمان وعلي إبراهيم «يضبضبان» ملف فساد [10]

المقاومة لا تستعجل التفاوض
هذه مطالبنا

04
مسيحيو فلسطين مضربون عن الاحتفال: العيد عيدُ غزة

06
تعطيل الملاحة في البحر الأحمر: أوروبا خاسرٌ كبير كما إسرائيل

07
المقاومة العراقية تضرب في المتوسط وإيلات

تحتجب «الأخبار» يومي الاثنين والثلاثاء لمناسبة عيد الميلاد المجيد

(أ ف ب)

طوفان الأقصى

العدو يمهّد لإعادة الانتشار المقاومة غير مستعجلة: لا تنازل عن وقف النار

(أ ف ب)

تستمرّ المفاوضات بين المقاومة والعدو الإسرائيلي، بوساطة قطرية ومصرية، في ظل وقائع ميدانية بات تطوّرها بطيئاً وثقيلاً، إذ تسير العمليات العسكرية في شمال قطاع غزة بوتيرة أعلى مما يحصل في جنوبه، لكنها، على أي حال، لا تحقق النتائج المرجوّة، بعدما بات واضحاً أن العدو يحاول انتزاع مكاسب ميدانية بأي طريقة، وفي أسرع وقت. وفي سبيل ذلك، نفذت قوات الاحتلال هجمات جديدة في مدينة غزة من عدة محاور، أهمها الدرج والتفاح والرمال، حيث تصدى لها المقاومون ودمروا عدداً من الآليات والتحموا مع الجنود. كذلك، استمرّت الاشتباكات في منطقة جباليا البلد، والتي يكافح العدو لإتمام سيطرته عليها، بعدما أعلنها، إعلامياً فقط، ساقطة قبل يومين. أما في خانيونس جنوباً، فدفع بطء التقدم الإسرائيلي وشراسة التصدي الفلسطيني، جيش الاحتلال، إلى الزجّ بالمزيد من قواته في محاور الهجوم حول المدينة، التي لم ينجح في إحكام الطوق حولها بعد.

وإذ يتوقع أن يزخّم العدو عمليّاته في جنوب القطاع ووسطه، خلال الأيام المقبلة، بحثاً عن المزيد من المكاسب الميدانية، فمن الواضح، أيضاً، أن إستراتيجيته الحالية مبنيّة على أن المرحلة ذات الزخم العالي شارفت على الانتهاء، وبالتالي يجب التحضير ميدانياً لما بات يُعرف بـ«المرحلة الثالثة»، التي تشتمل - بحسب «القناة 11» الإسرائيلية - على «تقليص عدد القوات وتشكيل منطقة عازلة والاستمرار في هجمات مركّزة». وفي سبيل ذلك، يهاجم جيش الاحتلال حالياً في محاور وسط القطاع، لتأمين المنطقة العازلة المطلوبة، والتي يتفاوت عمقها بين ناحية وأخرى، إلا أنه في حدّه الأدنى يبلغ نحو 1 كم، وحدّه الأقصى نحو 3 كم. وبحسب صحيفة «هآرتس»، فإن «الجيش الإسرائيلي أصبح بالفعل في خضمّ الانتشار (المطلوب) للمرحلة الثالثة على عكس ما يعلنه صناع القرار»، وإن «مراكز القيادة المُختلفة (في الجيش)، تستعد بالفعل لتغيير كبير في الشهر المقبل».

> «حماس» طوّرت أنفاقاً لا يمكن أن تصلها الصواريخ الأميركية الخارقة للتحصينات

وتضيف الصحيفة أن «التغييرات مرتبطة بإعادة انتشار مئات الآلاف من جنود الاحتياط بسبب العبء على الاقتصاد والجنود وعائلاتهم»، علماً أن «الجيش يخطط لتسريح عدد من هؤلاء». وبالنسبة إلى الجدول الزمني، تقرّ «هآرتس» بأنه «مرن، وذلك لاعتبارات بنيامين نتنياهو السياسية»، مشيرة إلى أن «الوضع على الأرض لا يتقدم بالوتيرة التي نسمعها في الخطاب السياسي». كما أكدت «القناة 13» أن «الجيش يستعدّ لتسريح الآلاف من جنود الاحتياط قريباً»، فيما نقلت «هيئة البث الإسرائيلية» عن مصدر مطلع قوله إن «الوسطاء يدركون أن الوقت ينفد أمام وقف إطلاق النار، وحماس تستعُد لحرب طويلة». وأشار المصدر الى أن «يحيى السنوار ليس منفصلاً عن الواقع، وإسرائيل تفسر الواقع بشكل غير صحيح»، مضيفاً أن «السنوار لديه إستراتيجية منظمة في حال استمرار الحرب».

وبحسب المعطيات الميدانية، فإن «العمليات لا تزال جارية حتى في المناطق التي دخلها الجيش، وهناك مقاومة مرنة تقوم على مبدأ السماح بالدخول، ومن ثم نصب الكمائن لتحقيق أكبر قتل وضرر». وتنفي المصادر الميدانية وجود «اعتقالات كبيرة في صفوف كوادر المقاومة، أو حتى على مستوى العناصر. وقد يكون العدو وصل إلى وثائق نتيجة وصوله إلى مناطق مُخلاة، لكن في الحقيقة هي شيء هامشي». أما في ما يتعلق بالأنفاق، فتوضح أن «نفق إيرز، هو نفق استخدمته المقاومة يوم السابع من أكتوبر، وهو نفق هجومي عبرت منه الجيبات والدرّاجات النارية لتصل إلى منطقة السياج الفاصل، وتمّ استخدامه عدة مرات لاستبدال القوات التي عبرت إلى الغلاف». ويمثل النفق «نسخة من الأنفاق التي تستخدم للمركبات والدعم وقد استُنفُد مهمته بالكامل، وما كان مفاجئاً للعدو، هو قطره وعمقه، إذ إنه بعمق 50 متراً، وهو ما يعني أن القصف والأحزمة النارية لا تصله ولا تؤثر فيه». أما بخصوص النفق الذي أُعلن عنه على أنه «نفق قيادة» في منطقة مسجد فلسطين، فتبين المصادر أنه «نفق قديم عمره من عام 2010، وكان يُستخدم للإخلاء الأوّلي لقيادة الحركة من المكاتب المعروفة»، وهو «ليس نفقاً حربياً، كما أنه فارغ من أي عتاد أو مقاتلين، ويتبع لجهاز الأمن وليس للجناح العسكري». والمفاجأة للإسرائيلي، بحسب المصادر، هي أن «حماس طوّرت أنفاقاً لا يمكن أن تصلها الصواريخ الأميركية الخارقة للتحصينات».

على صعيد المفاوضات، لا يزال الاتفاق المنشود بين العدوّ وحركة «حماس» أمام مفاوضات صعبة. وبينما يطلب الاحتلال «هدنة مؤقتة جديدة»، ولو كانت أطول من السابق، فإن «المقاومة تريد إنهاء العدوان بصورة تامة». وهي تتمسّك بمجموعة من الثوابت:

أوّلاً، الوقف الفوري للعدوان، والانسحاب الفوري لقوات العدو من كامل أراضي القطاع.

ثانياً: فتح المعابر وإدخال المساعدات إلى كل المناطق.

ثالثاً: إطلاق مفاوضات غير مباشرة حول الأسرى، بما يؤدي إلى إطلاق المقاومة سراح كل أسرى العدو لديها، مقابل إفراج العدو عن جميع الأسرى الفلسطينيين وفق مبدأ «الكل مقابل الكل».

رابعاً: بدء اتصالات فلسطينية – فلسطينية برعاية عربية، هدفها تشكيل «حكومة وحدة وطنية فلسطينية»، تتمثل فيها فصائل «منظمة التحرير الفلسطينية»، وفصائل المقاومة، ضمن برنامج إعادة ترتيب «البيت الفلسطيني».

وبحسب معلومات «الأخبار»، فإن قيادة غزة السياسية والعسكرية في حركة «حماس»، أرسلت موقفها الواضح إلى «قيادة الخارج»، والذي «نصّ على أن قدراتها في الميدان متماسكة، وهي قادرة على الصمود لفترات طويلة، ولا تزال تكبّد العدو خسائر فادحة يومياً، وهي ليست مستعجلة». وبالتالي، تؤكد مصادر «الأخبار» أنه «لا يوجد أي خلافات في قيادة حماس، بل هنالك إجماع على عدم التنازل عن وقف إطلاق النار»، مضيفة أن «كل الكلام عن تباينات بين قيادتي الداخل والخارج، ليس له أساس»، وأن أي تباين في الآراء، جرى علاجه «بعدما تمّ تطمين قيادة الخارج إلى الأوضاع الميدانية في غزة».

وفي سياق متصل، نقلت قناة «كان 11» الإسرائيلية، أمس، عن مسؤولين إسرائيليين مطلعين، تأكيدهم أن «إسرائيل تدرس تقديم عروض جديدة من أجل إبرام صفقة تبادل للأسرى». وأوضحت القناة أن «العروض الإسرائيلية التي تجري دارستها تهدف إلى محاولة إقناع حماس بالتراجع عن مطالبها، وعلى رأسها عدم إجراء أي مفاوضات قبل وقف إطلاق النار»، مضيفة أن تل أبيب تدرس، بموجب ذلك، «إمكانية زيادة عدد أيام الهدنة بما يتجاوز الأسبوعين، مقابل إطلاق عشرات الأسرى».

(الأخبار)

غزّة في وعي الجنود: «أسوأ من أسوأ كوابيسنا»

توضيحات فرنسية: «حزب الله» عامل استقرار

تلقّى «حزب الله» توضيحات من القيادة الفرنسية حول كلام الرئيس الفرنسي إيمانويل ماكرون، خلال مقابلة أجرتها معه قناة «فرانس 5»، الأربعاء الماضي، والذي اعتبر فيه ماكرون، الحزب، «مجموعة إرهابية». وبحسب معلومات «الأخبار»، أكّدت التوضيحات الفرنسية، أن «لا نيّة لدى فرنسا لتغيير مقاربة العلاقة مع حزب الله ومع لبنان»، بل إن «الفرنسيين مصرّون على الاستمرار في التواصل مع الحزب، لما فيه مصلحة لبنان». كذلك، جاء في التوضيحات، أن «باريس تعتبر حزب الله قوّة سياسيّة مهمّة، تمثّل شريحة أساسيّة من الشعب اللبناني، وهو عامل استقرار».

وعُلم أن موقف ماكرون أثار بلبلة لدى فريق الخارجية الفرنسية الذي يتابع العلاقة مع «حزب الله». وقد علّق البعض بأنه «كان على الرئيس ماكرون، التفكير مرّتين قبل أن يُدلي بما صرّح به حول حزب الله».

(الأخبار)

رام الله - **أحمد العبد**

ستبقى عملية تفجير مدرّعة «النمر» الإسرائيلية في قطاع غزة، في خلال الأيام الأولى من العملية البرية، والتي أسفرت عن مقتل 11 جندياً وضابطاً، علامة فارقة في وجه المؤسسة العسكرية والأمنية، إذ إنه بعد ثلاث سنوات من العمل على تصنيع «النمر»، زجّت إسرائيل بها في الميدان، لتكون بمثابة مدرّعة «كاسرة للتوازن»، توفّر الأمان والحماية للقوات في حرب المدن، إلا أنها سرعان ما تحوّلت إلى مقبرة للجنود، وهو ما صدم قيادة دولة الاحتلال، التي كانت فاخرت بأن مدرّعتها غير قابلة للاختراق. ومن تلك العملية، خرج جندي واحد على قيد الحياة. وبعد شهر من العلاج، أطلّ «الناجي الوحيد»، دانييل مازافيتس، ليقول للإسرائيليين إن ما جرى غير متخيّل «حتى في أسوأ كوابيسنا». وخضع مازافيتس الذي كان يقود المركبة، منذ إصابته، لعلاج مكثّف في العناية المركّزة، تمكّن عقبه من الوقوف على قدميه بعد شهر من انفجار المدرّعة به وبزملائه. وإثر خروجه من العناية المركّزة، عاد إلى المدرّعة المتفحّمة بالكامل، والتي لم يتبقّ من معداتها شيء ليلتقط صورة في داخلها. وحينها، قال: «عندما ذهبنا إلى الحرب، كنا نعلم أنه سيكون هناك جرحى وقتلى، لكن ما حصل لم نتخيّله في حياتنا، ولا حتى في أسوأ كوابيسنا، 11 محارباً ذهبوا واحداً تلو الآخر في ضربة واحدة، في الآلية نفسها وبالطريقة نفسها». قد تكون هذه واحدة من الشهادات النادرة لجنود الاحتلال الذين عادوا من قطاع غزة كجرحى؛ إذ يفرض الجيش الإسرائيلي رقابة عليهم تمنعهم من الحديث إلى وسائل الإعلام حول ظروف القتال وانطباعاتهم الشخصية، وهو ما ينفجر - على جري العادة - بعد الحرب، على غرار المواجهات السابقة، والتي توالت بعدها الإحصاءات المتعلقة بأعداد المعوقين، أو بارتفاع نسب الانتحار.

وكان نشطاء عبر مواقع التواصل الاجتماعي، تداولوا مقطع فيديو لجندي يُدعى أفيخاي ليفي، سبق له أن قاتل في قطاع غزة، وهو يبكي خلال حديثه بانفعال أمام لجنة في «الكنيست»، إثر إصابته بأزمة نفسية. وقال الجندي، غاضباً، إنه كاد يقتل امرأة عدة مرات، نتيجة أزمته النفسية، من دون أن يحدد درجة قربها منه. كما أفاد بأنه من شدة الخوف لا يستطيع النوم، وأنه لا ينام إلا حينما يشرب الكحول، حتى بات مدمناً عليه، وإذا نام فإنه يتبوّل على نفسه، وفق قوله. وحول تجربته في المعارك الدائرة في غزة، قال الجندي إنه يتخيّل قذائف الـ«آر بي جي» تطير فوق رأسه، ويتصور نفسه في جرافة يقاتل ويشم رائحة الجثث، في إشارة إلى الجنود والضباط الذين قُتلوا خلال مواجهة المقاومة، مطالباً بأن تهتم الدولة به وبالمعوّقين نتيجة الحرب، مشيراً إلى أن هناك العشرات من هؤلاء الذين «تخلّت الدولة عنهم». ومنذ بداية الحرب الأخيرة، يعلن العدو أن 3000 من جنوده أصيبوا بإعاقة دائمة. وقالت صحيفة «هآرتس»، أن «18% من المسجّلين في قسم إعادة التأهيل، يعانون من صعوبات في الصحة العقلية واضطرابات ما بعد الصدمة». وشكّل انتحار الجنود السابقين المرضى نفسياً والمصابين باضطرابات ما بعد الصدمة، أو الجنود خلال خدمتهم، قلقاً للمؤسسة العسكرية، وذلك بالتزامن مع ارتفاع طلبات الإعفاء من الخدمة.

> سحب لواء «غولاني» ولواء «المظليين» من القطاع «لإنعاش القوات»

وبحسب تلك المصادر، فإن 3 جنود إسرائيليين أقدموا على الانتحار في أيار 2023، و14 جندياً قاموا بالفعل نفسه خلال تأدية الخدمة العسكرية عام 2022. وتوضح أن هذه الحصيلة هي الأعلى منذ 5 سنوات، عازية ذلك إلى «تنامي الاضطرابات العقلية وسط الجنود». وتشير إلى أن نظام الصحة النفسية داخل الجيش الإسرائيلي أجرى 47 ألف جلسة علاج نفسي مع الجنود. ووفق قناة «كان» الإسرائيلية، تبيّن وجود قفزة بنسبة 40% في الاستفسارات العقلية والنفسية الواردة من الجنود قبل الحرب على غزة.

وعلى خطّ موازٍ، وبعد 60 يوماً من القتال في الحرب البرية، سحب الاحتلال جنود لواء «غولاني» من أرض المعركة، بذريعة «إعادة تنظيم الصفوف وإنعاش القوات». وذلك بالتزامن مع انسحاب لواء «المظليين» من غزة، تحت الذريعة نفسها. وفي العموم، تكبّد «لواء غولاني»، خسائر فادحة، بإقرار الاحتلال إلى مقتل 42 جندياً وضابطاً، بينهم قائد لواء «الكتيبة 13»، في معركة الشجاعية، من بينهم الضابط تومر غرينبرغ، فيما قال قائد لواء «غولاني» الأسبق، موشيه كابلنسكي، قبل عدة أيام، إن اللواء خسر نحو ربع قواته بين قتيل وجريح منذ عملية «طوفان الأقصى»، مؤكّداً مقتل 82 ضابطاً وجندياً.

أكد قائد لواء «غولاني» السابق أن اللواء خسر نحو ربع قواته بين قتيل وجريح (أ ف ب)

قرار دولي على المقاس الأميركي
موسكو لواشنطن: الإبادة مسؤوليّتكم

بعد ضمان عدم عرقلة الولايات المتحدة له، وافق «مجلس الأمن الدولي»، مساء أمس، على مسوّدة قرار إماراتي تدعو إلى زيادة المساعدات الإنسانية إلى قطاع غزة، واتخاذ خطوات عاجلة لـ«تهيئة الظروف لوقف مستدام للأعمال القتالية». وصوّت 13 عضواً لصالح مسوّدة القرار، فيما امتنعت الولايات المتحدة وروسيا عن التصويت. كما مَنعت واشنطن، عبر استخدام «حقّ النقض» (الفيتو)، موسكو من إضافة دعوة إلى «وقف عاجل ومستدام للأعمال القتالية» إلى المشروع. وفي استعراض للأسباب التي امتنعت روسيا، بموجبها، عن التصويت على القرار، اعتبر المندوب الروسي لدى مجلس الأمن، فاسيلي نيبينزيا، أنّ الولايات المتحدة لجأت إلى «الذرائع والابتزاز» لوضع قرار يرضيها بخصوص غزة، مؤكّداً أنّه تمّ إفراغ نص القرار من «مضمونه» من خلف الكواليس، ولا سيما في ما يختص بالفقرة المتعلقة بآلية دخول المساعدات، «والتي كان من المفترض أن تخفّف المعاناة عن الشعب الفلسطيني». وبطبيعة الحال، لاقى المشروع «المُعدّل» ترحيباً من المندوب الإسرائيلي، الذي اعتبر أنّه «يحافظ على سلطة إسرائيل الأمنية، لمراقبة وتفتيش المساعدات المتوجّهة إلى غزة»، مهاجماً، في الوقت عينه، «الأمم المتحدة»، التي اعتبر أنّه «لا يمكن الوثوق بها، للإشراف على المساعدات». ويبدو واضحاً من التصريحات الإسرائيلية، وتلك التي صدرت عن الأمين العام لـ«الأمم المتحدة»، أنطونيو غوتيريش، أنّ الشرخ يزداد أكثر فأكثر بين الطرفين، إذ عبّر غوتيريش، أمس، عن استيائه «من تصريحات مسؤولين إسرائيليين يشكّكون في (حل الدولتين)»، معتبراً أنّ الحل الوحيد لإنهاء «المعاناة» هو حصول «وقف لإطلاق النار»، ومشيراً إلى أنّ «العمليات القتالية الإسرائيلية تعرقل وصول المساعدات إلى غزة».

وعلى الجانب الأميركي، حاولت واشنطن الظهور بمظهر «المنقذ»، الذي «بذل جهده» لـ«تذليل العقبات»، على حدّ تعبير المندوبة الأميركية لدى المجلس، بعدما شكّلت واشنطن، بنفسها، العقبة الأساسيّة أمام أي حل فعلي، وحرصت على ألّا يشمل القرار أي وقف لإطلاق النار، ثمّ امتنعت عن التصويت عليه، متسائلةً، مرة جديدة، عن سبب رفض عدد من الأعضاء «إدانة (حماس)». على هذا النحو، وبعدما كانت السبب الرئيسيّ في امتناع «مجلس الأمن»، طوال الأسبوع الماضي، عن اتخاذ قرار نهائي حول غزة، حاولت الولايات المتّحدة الإيحاء بأنّها «من الحريصين» على تحسين «الوضع الإنساني» في القطاع، معربةً، في اللحظة الأخيرة، على لسان سفيرتها لدى «الأمم المتحدة»، ليندا توماس-غرينفيلد، عن استعدادها لـ«دعم قرار المجلس الذي يدعو إلى إرسال مزيد من المساعدات الملحّة إلى القطاع». إلا أنّ هذا الموقف أتى في أعقاب دفع واشنطن في اتجاه تأجيل التصويت على مشروع القرار الذي ترعاه أبو ظبي، لأربع مرات، كان آخرها أمس، ما أثار حتى، طبقاً لبعض المصادر، «غضب حلفائها الأوروبيين»، والعمل على «تخفيفه» إلى حدّ كبير، بما جعله يشبه القرارات التي صدرت سابقاً حول إرسال المساعدات إلى القطاع، والتي جعلت، في غير محطة، الإغاثة الإنسانية رهن «مزاج» الجانب الإسرائيلي.

> تتناسى واشنطن عمداً الانتقادات التي طاولت تل أبيب بسبب «تقييدها» دخول المساعدات إلى القطاع سابقاً

وأسقط نص القرار الذي نال «الرضى الأميركي»، أخيراً، الدعوة إلى «تعليق» الأعمال الإسرائيلية العدائية، واستبدلها، أول مرة، بالدعوة إلى اتخاذ «خطوات عاجلة» للسماح بوصول المساعدات الإنسانية «من دون عوائق»، ثمّ بالدعوة «إلى تهيئة الظروف لوقف مستدام للأعمال القتالية». وفي إطار تعليقه على النقطة الأخيرة، أعتبر المندوب الروسي لدى المجلس أنّ واشنطن سمحت بإضافة «عنصر خطير» إلى القرار؛ إذ إنّه بدلاً من الحديث عن «وقف للأعمال القتالية فوراً»، فهو «يسمح لإسرائيل بتطهير قطاع غزة». كما يطلب القرار من الأمين العام للأمم المتحدة تعيين منسّق، مهمته «تسهيل دخول المساعدات وتنسيقها ومراقبتها»، والتحقق «بعد استشارة جميع الأطراف المعنية»، من أن شحنات المساعدات هي «ذات طبيعة إنسانية». وحتى في ما يتعلق بالأخيرة، وبعدما عارضت واشنطن صيغة القرارات السابقة، بذريعة أنها لم تعط إسرائيل «سلطة كافية» لمراقبة المساعدات التي ستدخل إلى غزة، ستسمح الصيغة الحالية، التي تدعو «الأمم المتحدة» إلى «التنسيق» مع الأطراف المعنية، وعلى رأسها إسرائيل، على الأرجح، لتل أبيب بالتحكّم، مرة جديدة، بمصير المعونات التي من المفترض أن تصل إلى القطاع.

وعلى الرغم من ادّعاءات واشنطن وعدد من حلفائها أنّ مشروع القرار الأخير، «يتيح إمكانية وصول المساعدات إلى غزة من دون عوائق»، إلا أنّ ذلك المشروع يوحي بأنّ واشنطن تتناسى عمداً الانتقادات التي طاولت تل أبيب، بسبب «تقييدها» دخول موادّ الإغاثة إلى القطاع سابقاً، والتي صدر البعض منها عن الإدارة الأميركية نفسها؛ فآنذاك، عمدت إسرائيل إلى الحد من هذه المساعدات بشكل كبير، كإجراء انتقامي، بعد انهيار الهدنة مع «حماس»، علماً أنّه حتى قبل انهيارها، كانت المنظمات الإنسانية، وجماعات الإغاثة، بالإضافة إلى «الأمم المتحدة» نفسها، تحذّر من أنّ الكميات التي كان يُسمح بدخولها إلى القطاع غير كافية لتلبية احتياجات الغزيين المتزايدة، مع استمرار العدوان الإسرائيلي الوحشي على المدنيين.

(الأخبار)

طوفان الأقصى

مسيحيو فلسطين مضربون عن الاحتفال و«العيد عيد غزة»

رام الله ـ **أحمد العبد**

حداداً على شهداء قطاع غزة، لن يحتفل الفلسطينيون المسيحيون بأعياد الميلاد لهذا العام، فيما ستقتصر شعائر الأعياد على الصلوات، التي لن تكون مُيسّرة هي الأخرى تماماً، وتحديداً في مدينة القدس المحتلة، إذ حوّلت إسرائيل المدينة إلى ثكنة عسكرية على مدار العام، فيما تنشر حالياً حواجزها وعناصر شرطتها في كل الأزقة والشوارع والميادين، وهو ما يترافق مع اعتداءات مباشرة من قبل الجنود والمستوطنين، تحول دون ممارسة المقدسيين حياتهم، بما في ذلك صلواتهم، بحرية. وعلى خلفية كلّ ما تقدّم، لم يكتفِ المسيحيون بإلغاء الاحتفالات بالأعياد، بل وجّهوا في خلال الأسابيع الماضية مراسلات إلى جميع المرجعيات الدينية والحقوقية في العالم بضرورة العمل على وقف هذه الحرب، وكان من أبرزها توجّه وفد من كنائس بيت لحم، في نهاية تشرين الثاني، إلى واشنطن، لتسليم الرئيس الأميركي، جو بايدن، رسالة تدعوه إلى إنهاء العدوان على غزة.

على أن استهداف المسيحيين في غزة، كما في الضفة أو القدس المحتلتين، لم يبدأ مع بدء العدوان، بل هو ممتدّ إلى ما قبل ذلك. ويُشار، هنا، إلى ما تعرّض له رجال الدين المسيحيون، في بداية اكتوبر الماضي، ما قبل معركة «طوفان الأقصى»، من اعتداءات من قِبَل مجموعات المستوطنين في القدس، بالضرب والبصق عليهم، فضلاً عن اعتداءات من قِبَل عناصر شرطة الاحتلال. وفي تعليقه على هذه الحادثة وقتها، قال «مجلس الكنائس العالمي» في القدس إن المسيحيين يتعرّضون لـ«الاضطهاد» من قبل جماعات إسرائيلية متطرفة، منتقداً صمت الحكومة الإسرائيلية إزاء هذا الوضع، مضيفاً: «نشعر بالاضطهاد لنا كمسيحيين وللمسيحية كدين في البلد. يوجد اضطهاد يهودي إسرائيلي يتم تشجيعه سواء من خلال إهمال الشرطة أو بالكلام الذي يصدر عن وزراء الحكومة الإسرائيلية».

ولا تقتصر المضايقات على تحديد أعداد المصلين والمسار الذي يتخذونه في القدس، بل تصل إلى تواطؤ شرطة الاحتلال مع المستوطنين وعناصر الجماعات اليمينية الذين ينتشرون في حوارى وأزقة المدينة، حيث يتعرّض المؤمنون المسيحيون للسباب والشتائم. وفي كثير من المرات تتدخّل شرطة الاحتلال لتعتدي بالضرب عليهم في حال حدوث تلاسُن مع المستوطنين. وتُقدّر أعداد المسيحيين الفلسطينيين في القدس بنحو 8 آلاف، حيث عملت إسرائيل منذ احتلال المدينة بشقّيها الغربي عام 1948، والشرقي عام 1967، على انتهاج سياسة طاردة لهم. ولعلّ ما تقدّم يُفسّر إصدار الكنائس نحو 12 بياناً خلال الشهور الماضية، اثنان منها على الأقل دعوا إلى توفير الحماية الدولية لهم، من هذه الهجمات التي تزداد بداية في فترة الأعياد.

وحول ذلك، يقول رئيس «أساقفة سبسطية للروم الأرثوذكس»، عطاالله حنا، في حديث إلى «الأخبار»، إن «ما يتعرّض له المسيحيون من استهداف هو ذاته الذي يتعرض له كل الشعب الفلسطيني الذي يعاني الاحتلال والاستهداف والقمع والظلم، فالاحتلال لا يميز بين مسيحي ومسلم»، مضيفاً أن «المسيحيين في القدس يعانون من عنصرية الاحتلال والمستوطنين، الذين يشتموننا ويبصقون علينا وعلى رموزنا الدينية التي تزعجهم وتستفزّهم وخاصة الصليب». ويؤكد أن هذه الممارسات موثّقة «حين يمرون قرب الكنائس أو الرموز المسيحية»، متابعاً أن «الاحتلال في القدس يستهدف المسجد الأقصى والأوقاف الإسلامية وكذلك الحضور والأوقاف المسيحية من منطقة باب جديد، مروراً بباب الخليل، ووصولاً إلى الحي الأرمني، وفي كل أحياء القدس».

ويشير حنا إلى أن أعداد المسيحيين في فلسطين في «تراجع دراماتيكي بسبب إجراءات الاحتلال والظروف الاقتصادية والمعيشية الصعبة، ونسبتهم لا تتجاوز الواحد في المئة، بينما يبلغ عددهم في القدس 8 آلاف شخص»، واصفاً هذا التراجع بـ«الخسارة لكل فلسطين». ويؤكد أن «المسيحيين الباقين رغم الآلام والسياسات الاحتلالية الطاردة متمسّكون بانتمائهم إلى فلسطين وإيمانهم ورسالتهم من الأرض المقدسة»، مضيفاً أن «هذه العنصرية لن تؤثر علينا وعلى صمودنا، هم يسعون لمضايقتنا لكننا باقون وجذورنا عميقة في تربة الأرض ولن يتمكن أحد من اقتلاعنا».

> وجّه مسيحيو فلسطين مراسلات إلى جميع المرجعيات الدينية والحقوقية في العالم بضرورة العمل على وقف هذه الحرب

وحول أوضاع المسيحيين في غزة، يقول حنا إن «نزيف غزة هو نزيفنا وآلام غزة هي آلامنا، إذ كلنا مستهدفون في غزة والضفة والقدس، وما يجري ليس حرباً ضد مدينة أو فصيل وإنما يستهدف كل الشعب الفلسطيني بكل مكوّناته، ولذلك فإن رسالة الكنائس هي إلى كل المرجعيات الدينية المسيحية والكنائس حول العالم للالتفات إلى فلسطين وغزة، وأن يتذكروا بأن أرض الميلاد هي فلسطين وأن يرفعوا الصوت عالياً لكي تتوقف الحرب». ويشير إلى أن «عدد المسيحيين في غزة يصل إلى نحو ألف شخص، بعدما تراجع بشكل كبير خلال السنوات الماضية، في ظل الحروب المتلاحقة على القطاع، والحصار المفروض منذ 17 عاماً والظروف الصعبة والمأساوية»، لافتاً إلى أن «كل المسيحيين في غزة متواجدون في الكنيسة الأرثوذكسية والكاثوليكية، والتي لم تنجُ من الاعتداءات التي ارتقى في خلالها العديد من الشهداء».

وارتفعت وتيرة الاعتداءات على المسيحيين في القدس، منذ تشكيل الحكومة الإسرائيلية التي تضمّ في عضويتها وزراء فاشيين، منحوا المستوطنين الضوء الأخضر لممارسة العربدة ضد من يشاؤون، حتى بات هؤلاء يخطّون عبارات من مثل «الموت للمسيحيين» و«الموت للأرمن»، بالعبرية، في كل مكان، مثلما حدث على جدران «دير سانت جيمس» (القديس يعقوب) الأرمني قبل شهور. وفي تشرين الثاني الماضي، قام مستوطن متطرف بتخريب تمثال للسيد المسيح في كنيسة الجلد المقامة في المكان الذي يُعتقد أن المسيح حمل فيه الصليب. كما شهدت القدس قيام مجموعة من المستوطنين بإلقاء الكراسي والطاولات في محيط منطقة بالقرب من مقر جماعة «حراسة الأراضي المقدّسة» الدينية، ما جعل الحي المسيحي أشبه بساحة معركة. وفي واقعة أخرى، تعرّضت مقبرة مسيحية في القدس للتخريب، كما حطّم المستوطنون شواهد قبور وصلبان أكثر من 30 قبراً في المقبرة البروتستانتية، وخطّوا شعارات عنصرية على جدران البطريركية الأرمنية.

وأثار هجوم المستوطنين على المسيحيين، في أكتوبر الماضي، ردود فعل دولية غاضبة، ما دفع حكومة الاحتلال إلى إدانته ورفضه، لكنّ عدداً من الإسرائيليين قالوا في منشورات عبر وسائل التواصل الاجتماعي إن «البصق على المسيحيين هو عادة يهودية قديمة»، وبالمثل، قال وزير «الأمن القومي» إيتمار بن غفير، إن «هناك عادة يهودية قديمة، أن تبصق من الإسرائيليين قالوا في منشورات عبر وسائل التواصل الاجتماعي إن «البصق على المسيحيين هو عادة يهودية قديمة»، وبالمثل، قال وزير «الأمن القومي» إيتمار بن غفير، إن «هناك عادة يهودية قديمة، أن تبصق عندما تمر بالقرب من دير أو كاهن، يمكنك أن توافق على ذلك أو لا توافق»، متسائلاً: «لماذا نحوّل البصق على المسيحيين إلى مخالفة جنائية؟».

رجل دين يجلس في كنيسة «المهد»، في مدينة بيت لحم (أ ف ب)

«أبو عبيدة»... كاريزما الصوت تهزم إعلام العدو

عبدالمنعم علي عيسى

لا يُعرف الكثير عن الناطق باسم «كتائب القسّام»، «أبو عبيدة»، لا سحنته ولا تفاصيل وجهه وجسده اللازمة لمعرفة الكثير عن الشخصية، ولا بيانات الهوية اللازمة لتحديد تواريخ دالّة، من مثل مكان وتاريخ الولادة، تعطي انطباعاً عن البيئة، ومعها حواضن الوعي والأفكار. جلّ ما يُعرف عن الرجل هو تلك الصورة التي اختارها لكي يُصدّرها إلينا، فنعرفه بها.

يمكن اختصار ملامح شخصية «أبو عبيدة»، الذي اختار كنيته تيمّناً بالاسم الأول لفاتح القدس في زمن الخليفة عمر بن الخطاب، أبو عبيدة بن الجرّاح، بوجه يعتمر كوفية حمراء، على الدوام، في تقليد فلسطيني يستحضر الإرث والتاريخ اللذين يبدوان غائصين في ذات الرجل، شأنهما في ذلك شأن ما يفعلان عند الكثير ممن حملوا رايةَ الدفاع عن الهوية الفلسطينية، ولكن مع فارق أنّ المسألة عند هذا الأخير تتمثّل بطابع عملياتي أكثر منه «استعراضيّاً»، بتعبير آخر، هو متجذّر إلى حدّ الانصهار في تلك الهوية، راسماً بذلك خطّ الدفاع الأول والأخير عنها، في ملمح يتأكّد عبر جملته التي اعتاد أن يختتم بها كل بياناته: «وإنه لجهاد، نصر أو استشهاد»، المأخوذة عن الشيخ الشهيد عز الدين القسّام، الذي قالها قبيل استشهاده في معركة «أحراش يعبد» عام 1935.

ظهر «أبو عبيدة» للمرة الأولى عام 2002، وهو مغطى الوجه، في تقليد استمده من زعيم «كتائب القسام» السابق، عماد عقل، الذي اعتقلته إسرائيل عام 1993، ولكنّ نجمه سطع في 25 حزيران عام 2006، عندما أطلّ معلناً نبأ أسر كتائبه، التي أصبح ناطقاً باسمها مذّاك، الجندي الإسرائيلي جلعاد شاليط، بعد عملية قامت بها رداً على سقوط قذيفة على منزل هدى غالية، الطفلة التي لم تبلغ ربيعها العاشر آنذاك. وفي أعقابها سرعان ما ظهرت هدى في شريط مصوّر وهي تركض على شواطئ غزة، منادية أباها قبيل أن تسقط باكية بجوار جثمانه. لوهلة بدا المشهد، وردّة الفعل التي استحدثها، أقرب إلى ردّة فعل الخليفة العباسي، المعتصم بالله، الذي استلّ سيفه لنجدة امرأة مسحولة من عمورية استصرخت نخوته، فقام بدكّ حصن المدينة على مغتصبيها.

سيثبت «أبو عبيدة»، عبر كاريزما

> الرجل - الظاهرة جاء معبّراً عن مكنونات الذات الجماعية للأمة التي ظلّ فيها منصب «الناطق» شاغراً

الموجّه إلى شارع يصله نصف ما يحدث فقط، في حين أنّ الصف الآخر كان «عجينيّ» القوام، ما يجعل من فعل «تصليبه» أمراً بالغ الأهمية على ضفتي الصراع، وهو ما بدا «أبو عبيدة» متقناً له بدرجة لا يشوبها الشك. مع انطلاق معركة «سيف القدس»، عام 2021، تحوّل الرجُل إلى أيقونة إعلامية. ففي الأردن راح جيل الفتية والشباب يتلقّفُ خطاباته بشغف كبير كمن يوقظ فيه مشاعر دفينة، كما بدأت المساجد تنشر ما يقوله عبر مكبّرات صوت تعمّد القيّمون عليها توسعة نطاقات بثّها. والأخيرة سرعان ما تحوّلت إلى منابر ذات مفاعيل عدة، أبرزها ضرب الأثر الذي كانت القنوات العبرية تعمل على تسويقه، وهو في مجمله يجهد لتكريس صورة «الجيش الذي لا يُقهر». مفاعيل جاءت على صورة سكّين تمزّق هذه الصورة. وفي مصر كان الشارع، بما يمتاز به من حسّ قادر على التقاط اللحظة وتحويلها إلى ترنيمة، قد ذهب نحو ترسيخ الظاهرة عبر سيل من الأغاني التي صار الصغار يردّدونها، كما تلك التي جرت العادة عليها في الأعياد والأفراح. وفي الجزائر بدأ صبية المدارس يتنافسون على تأدية دوره في مسرحيّاتهم التي يقيمونها في باحات مدارسهم، أو الطرقات الموصلة لبيوتهم. أما في لبنان، وتحديداً في البقاع، فقد احتوت الامتحانات، لذلك العام، أسئلة عنه، بالتزامن مع ظهور صورة له، في وسط بيروت، كُتب تحتها «الناطق باسم الأمّة». كان ذلك يعني أن الرجل - الظاهرة جاء معبراً عن مكنونات الذات الجماعية للأمة التي ظلّ فيها منصب «الناطق» شاغراً لمدّة طويلة.

فجر السابع من أكتوبر، يوم «طوفان الأقصى»، كان الرجل على موعد مع فجرَين، أولهما «شخصي»، وثانيهما «وطني» من النوع الذي ينوب عن أمة بحالها. ففي الأول، تحوّل منبره الذي أجاد الظهور عبره إلى ترنيمة استساغتها الآذان التي دائماً ما ملّت المنابر وما يصدر عنها؛ وفي الثاني، أضحى «أبو عبيدة» وبياناته كمشرط في يد جرّاح يدرك جيداً مساحة التلف الحاصل في الأنسجة، ثم أخذ يكشطها ببراعة لافتة دونما أيّ اعتبار للآلام الناجمة عن الفعل لغياب «المخدّر»، الذي يؤدّي دوراً ضاراً في حالات من هذا النوع.

ما بين 25 تشرين الثاني الماضي و10 كانون الأول الجاري، غاب «أبو عبيدة» عن الظهور، لتخرج وسائل إعلام الاحتلال بنظرية تقول إنه «أُصيب .. أو لربما قُتل»، ولكنّ الأخير خرج في الحدّ الأخير للغياب، معلناً أنّ قواته «استطاعت تدمير 180 آلية عسكرية» بعد استئناف العمليات في أعقاب هدنة الأيام السبعة. كان ذلك يشير في أوساط الخبراء، والمحلّلين، إلى خسارة جولة كبرى لا تقلّ أهميةً عن تلك التي خسرها العدو في غضون الأيام الخمسة والستين السابقة للظهور المشار إليه.

في حمأة النار، وبينما كان لهيبها وآلامها يُبرزان المؤشّرات على أنّها ماضية نحو مديات أبعد، خرج إلى العلن شريط فيديو قصير. وفي نهاية الصورة، كان هناك رجل يقوم بترميم جدار أو ما شابه، وهو يعتمر الكوفية الحمراء، في ملمح يشير إلى تماهي الفعلين حدّ الانصهار. وفي مقدّمة الصورة، ظهرت فتاة بين الثالثة والرابعة من العمر. تقترب العدسة من وجه الفتاة التي وضعت إصبعها في فمها وهي تبتسم، ناظرة بالتناوب إلى الكوفية وإلى الكاميرا، لتقول: «أبو عبيدة».

رأي

ورطة «اليوم التالي»

بدر الإبراهيم *

أدخلت عملية السابع من أكتوبر إسرائيل إلى حرب لم تخطّط لها، فاندفعت للانتقام بتوجيهٍ ومساعدةٍ من الولايات المتحدة. حاول الأميركيون دفع نتنياهو للتفكير في «اليوم التالي» لحربه على غزة، حيث يفترض الطرفان إمكانية تحقيق الأهداف الكبيرة للحرب من تفكيك البنية العسكرية لحماس، والقضاء على حكمها للقطاع. اصطدم الاثنان بتباعد خياراتهما الاستراتيجية، إذ يتمسك الأميركيون بحلّ الدولتين ولو شكلياً، بينما يفاخر نتنياهو بأنه منع بكل قوة إقامة دولة فلسطينية. تحاول الإدارة الأميركية إنقاذ إسرائيل من نفسها، عبر طرح حلول تقلّل من احتمالية تورط إسرائيل في استنزاف طويل تجرّ معه الولايات المتحدة إلى ما لا تريده في هذه المرحلة، لكن حلول الطرفين المطروحة تفضي إلى ورطة لكليهما.

إعادة احتلال القطاع أو السيطرة الأمنية عليه تعني التورط بعبء إدارة شؤون أكثر من مليونَي إنسان، واستنزافاً أمنياً وعسكرياً، حيث لن تتوقف محاولات الفلسطينيين لإيذاء القوة المحتلة بكل شكل ممكن. بعض الإسرائيليين يودّون استعادة سيناريو بيروت عام 1982، في إنهاء خطر منظمة التحرير الفلسطينية، لكن حتى في ذاك السيناريو ظهرت قوى أكثر راديكالية لتحوّل فرحة الانتصار الإسرائيلي إلى أزمة كبيرة لإسرائيل وحلفائها الغربيين. يستحضر الأميركيون سيناريوات العراق وأفغانستان لتحذير الإسرائيليين من أن إنهاء الإدارة الحالية للقطاع لا ينتج بالضرورة نصراً مستداماً، وأن هناك وسائل سياسية ضرورية لجعل أيّ تقدّم عسكري مثمراً.

ورطة احتلال القطاع تطرح حلولاً أخرى، أهمها تهجير الفلسطينيين إلى سيناء، لكن هذا الحل إن حدث ينتج أزمة كبيرة للولايات المتحدة، إذ يجعل البيئة الإقليمية التي عملت على بنائها لعقود قابلةً للانفجار، وقد يعني هذا تفريغ اتفاقية كامب ديفيد من مضامينها إذا ما ضرب هذا الحل كل الترتيبات الأمنية في سيناء، وارتدّ الأمر على إسرائيل بإشكالات أمنية جديدة. تسير العنجهية الإسرائيلية نحو تورط أكبر، وتغيب عن العقلية المتفلتة والمتعطشة للانتقام حسابات اليوم التالي، لكن الولايات المتحدة التي تسعى إلى أن تكون العقل الذي يرشد الجنون الإسرائيلي، لا تملك هي الأخرى حلولاً تمنع الورطة.

تصرّ الولايات المتحدة على حل الدولتين الذي قُتل برصاص الاستيطان الإسرائيلي والرعاية الأميركية له. يرى الأميركيون أن رفض إسرائيل حلّ الدولتين (ونتاجه أصلاً أقل من ربع دولة للفلسطينيين) يعني خطر إرغامها على حلّ الدولة الواحدة مستقبلاً، وأن القيام بنكبة جديدة في الضفة الغربية والقطاع أمر يصعب تحقيقه، ولو بتدرّج. لكن ما تطرحه الولايات المتحدة من منح إدارة القطاع للسلطة الفلسطينية بعد إصلاحها (وهذا يعني غالباً جلب وجه بديل في رئاستها) لا يعدو كونه تعيين حارس أمني محلي لحماية أمن إسرائيل، ويبدو أن الأميركيين لا يقرأون جيداً فشل نموذج الضفة الغربية بشقّيه الأمني والاقتصادي، ولا يرون أن عدم قدرة السلطة على ضبط الناس في الضفة، وتزايد العمليات ضد إسرائيل في السنوات الأخيرة، يعود بشكل أساسي إلى تعمّد الولايات المتحدة إضعاف هذه السلطة بعدم اتخاذ موقف سياسي ينقذ حلّ الدولتين من الموت، ويلجم الاستيطان الإسرائيلي.

حلّ الدولتين المطروح أميركياً بلا مضمون، وورطة اليوم التالي أميركياً أنها لا تزال تامل بتجاوز القضية الفلسطينية بنوع من الترتيبات الأمنية، والعودة إلى مساعي التطبيع عربياً لتأمين بيئة إقليمية تضمن الحفاظ على المصالح الأميركية في المنطقة، لكن الأمور لا تسير ببساطة وفق الأمنيات الأميركية. ثبتت هذه الحرب زيادة اعتماد إسرائيل على الولايات المتحدة، وسرعت مسار تحوّلها إلى عبءٍ على الأميركيين، وفي حالة تراجع القوة الأميركية في العالم، وخاصة مع فشل الرهان الأميركي في أوكرانيا، وعودة أميركا إلى تركيز جهودها ومواردها لاحتواء الصعود الصيني، تجد إسرائيل نفسها في ورطة التعامل مع تراجع قوة ودور الراعي الأميركي، وأزماتها الداخلية، وعدم القدرة على إنهاء وجود الفلسطينيين في أرضهم.

مهما كانت النتائج العسكرية لهذه الحرب، فإن اليوم التالي لها لن يغيب عنه قلق إسرائيلي وأميركي عميق.

«كاتب عربي

المقاومة تواصل الإشغال شمالاً
جنود الاحتلال: نحن بطّ في ميدان رماية

لا يمرّ يوم منذ الثامن من تشرين الأول الماضي، إلا ويعبّر المستوطنون ومعهم الإعلام العبري عن القلق حيال أمن المستوطنات الشمالية، ربطاً بعمليات المقاومة ضد ثكنات ومواقع وتجمّعات جنود العدو الإسرائيلي على طول الحدود اللبنانية مع فلسطين المحتلة، والتي أدّت إلى هرب عشرات الآلاف من المستوطنين إلى عمق فلسطين المحتلة.

واصل حزب الله أمس تنفيذ سلسلة عمليات دقيقة ضد مواقع وتجمّعات جنود العدو، باستهداف مقاوميه تلك التجمعات في محيط ثكنة «شوميرا» (قرية طربيخا اللبنانية المحتلة)، قبل أن يستهدفوا «المنارة»، وقال إن «الأرقام المتعلقة بالدمار في كيبوتس المنارة عند الحدود مع لبنان لم تكن معروفة للجمهور في إسرائيل وأخفاها الجيش الإسرائيلي». بدورها، نقلت موقع المطلة، وتجمّعاً لضباط وجنود العدو في مستعمرة «إيفن مناحم» (قرية طربيخا اللبنانية المحتلة) بالأسلحة الصاروخية، وأوقعوا فيهم إصابات مؤكّدة، قبل أن يستهدفوا تجمّعاً آخر لجنود العدو وآلياته في محيط موقع المنارة، ومركز تحكّم وسيطرة عند النقطة 430 مقابل بلدة كفركلا.

وأقرّ الإعلام العبري بمقتل جندي إسرائيلي وإصابة آخر بجروح خطيرة في مستوطنة «شتولا» جراء إطلاق حزب الله لعدد من الصواريخ، ونشر مشاهد تُظهر الأضرار التي لحقت في المباني داخل مستوطنة «المنارة»، وقال إن «الأرقام المتعلقة بالدمار في كيبوتس المنارة عند الحدود مع لبنان لم تكن معروفة للجمهور في إسرائيل وأخفاها الجيش الإسرائيلي». بدورها، نقلت «القناة 14» العبرية عن ضباط وجنود إسرائيليين عند الحدود مع لبنان قولهم: «نشعر كأننا بطّ في ميدان الرماية، وتسلسل الأحداث يتزايد هنا، حرب على كل شيء، والرتب العليا في الجيش الإسرائيلي تعتقد أن كل شيء على ما يرام». أما صحيفة «يديعوت أحرونوت» فقالت إن «عدداً كبيراً من المستوطنين النازحين من المستوطنات الحدودية مع لبنان بدأوا يبنون حياة جديدة في المناطق التي نزحوا إليها ولا يريدون العودة».

وأعلن حزب الله، أمس، استشهاد المقاومَين حسين علي عز الدين (أبو نمر) من بلدة معروب الجنوبية، وعبد العزيز علي مسلماني (أبو محمد كربلا) من بلدة الشعيتية الجنوبية.

(الأخبار)

طوفان الأقصى

تعطيل الملاحة في البحر الأحمر
أوروبا خاسرٌ كبيرٌ كما إسرائيل

ماهر سلامة

ديدن الغرب أنّه لا يتورّع عن الاستمرار في حياكة المؤامرات وممارسة الاعتداءات على كل من يخالف سياساته. وها هو يحرّض عبر حكوماته ووسائل إعلامه، على الشعب اليمني عبر تقديم تفسير خاص به لقرار اليمن محاصرة إسرائيل ومنعها من الإبحار في البحر الأحمر وباب المندب وبحر العرب رداً على حصارها لقطاع غزّة. ويروّج الغرب بأن القرار يستهدف حركة التجارة العالمية في هذه الطرق والممرات البحرية، من منطلق أن ما يجري يمثّل تهديداً لكل الملاحة البحرية في العالم. فيما الهدف الذي ترمي إليه واشنطن هو خدمة العدو الإسرائيلي، وليس إعلان أربع من أكبر شركات النقل البحري العالمية، التي يصادف أنها غربية المنشأ، بأنها ستوقف الإبحار عبر البحر الأحمر، إلّا أحد أمثلة هذا التهويل الذي يقوم به الغرب. مع العلم أن القوات المسلحة اليمنية كانت واضحة جداً في جميع بياناتها، كما أكّد مسؤولو أنصار الله في كل تصريحاتهم، أن العمليات التي تقوم بها اليمن في البحر موجهة فقط نحو البواخر المتوجّهة إلى إسرائيل، أو تلك التي على صلة بالكيان المحتل.

ما تقوم به شركات الشحن البحري العملاقة يصيب كل حركة الشحن في العالم، وهذا الأمر يتعلّق بافتعال بتّعقيدات على سلاسل التوريد العالمية، التي أصبحت تحتاج إلى تقنيات حديثة في إدارتها. وفي هذه العملية المعقّدة، تُصبح عواقب أي خلل في الشحن البحري مؤثّرة على الصعيد العالمي، بخاصّة أن الشركات المذكورة، ضخمة لدرجة أن أعمالها تمتد عبر بحار العالم ولا تختص بالنقل من منطقة إلى أخرى. وبحسب التقديرات، تبلغ حصة الشركات التي أعلنت عن تعليق الإبحار في البحر الأحمر من مجمل حركة النقل البحري العالمي نحو 54% من هذه الحركة العالمية. وهنا يمكن الغوص في بعض نتائج هذه القرارات المحتملة.

سلاسل التوريد: تهديد حقيقي لاقتصادات الدول

الاقتصاد الحقيقي، هو، بشكل عام، ما يتعلّق بالإنتاج، الذي يعتبر العصب الأساسي لأي اقتصاد. صحيح أن الأسواق المالية هي أحد أهم مصادر الأرباح في الاقتصاد الرأسمالي، إلّا أنّ عوامل الاقتصاد الحقيقية (الإنتاج والتجارة والاستهلاك) هي العوامل التي تسهم في تحريك العجلة الاقتصادية، وأنّ أي ضرر يلحق بها له انعكاسات كبرى على الاقتصاد. النقطة المهمّة هنا هي أن سلاسل التوريد وسلاسل الإنتاج هي العمليات التي تدفع عوامل الاقتصاد الحقيقي للعمل بشكل سليم.

ولا ضرورة للذهاب بعيداً لتوضيح هذه الفكرة، فالعالم لم يتعافَ بعد من أخر صدمة حصلت عقب اندلاع الحرب الروسية الأوكرانية، حيث ضربت سلاسل التوريد في عدد من القطاعات، وأهمّها الغذاء والطاقة. ونتيجة لهذا الخلل، ارتفعت الأسعار العالمية لمختلف السلع، ما أسهم في حصول موجات تضخّم في غالبية دول العالم. ولم تكن أي أداة، من الأدوات الحديثة التي يستخدمها صنّاع السياسات، مثل الأدوات النقدية أو المالية، فعّالة في وجه ارتفاع الأسعار، إذ كان السبيل الوحيد هو معالجة أساس المشكلة، وهي سلاسل التوريد. عندما استقرّت هذه السلاسل على الواقع الجديد، توقّف الارتفاع الكبير في الأسعار، وعادت معدلات التضخّم إلى مستويات «معقولة»، ولكن هذا لم يمح أثر الارتفاع السابق في الأسعار. بمعنى آخر، جلّ ما حصل هو أن معدّل التسارع في ارتفاع الأسعار أصبح معقولاً، ولم تنخفض الأسعار إلى المستويات التي سبقت الحرب الروسية الأوكرانية.

> التحريض الأميركي على اليمن، هدفه اعتبار الهدف اليمني بمحاصرة العدو تهديداً للملاحة البحرية التجارية

ما يحدث اليوم في البحر الأحمر، وما يخطّط له اللاعبون على وتر الحرب الإسرائيلية على غزة، قد يكون إنذاراً لمشكلة قادمة على صعيد سلاسل التوريد. في هذا السياق، لا بدّ من توضيح أهمّية قرارات عمالقة النقل البحري الغربيّين. فالنقل البحري في البحر الأحمر يمثّل نحو 12% من التجارة العالمية، و30% من التجارة البحرية العالمية، وهو يُقدّر بنحو تريليون دولار سنوياً. والمتضرر الأساسي من قرار هذه الشركات هو أوروبا، إذ إن هذا القرار يضرّ نحو 50% من التجارة بين شرق آسيا وأوروبا. وتحوّل هذا الحجم من التجارة من البحر الأحمر إلى رأس الرجاء الصالح وبالتالي الالتفاف حول أفريقيا، يعني زيادة مدّة الرحلات بنحو 10 أيّام، وفي بعض التقديرات أكثر من ذلك. وهذا الأمر له نتائج مختلفة:

أولاً، الانعكاس على كلفة النقل. فسلوك طريق أطول يعني كلفة نقل أعلى. وهذا الأمر سينعكس بشكل مباشر على أسعار السلع المنقولة. فعلى سبيل المثال، الرحلة من سنغافورة إلى روتردام ستزداد مسافتها بنحو 40%. كما ينعكس الأمر على كلفة تأمين البضائع، وهي أيضاً تُشكّل إحدى الأكلاف المهمة التي تنعكس على أسعار البضائع، فالمستورد، يدفع هو أيضاً كلفة التأمين على بضائعه. وبالفعل، رفعت شركات التأمين الكلفة على البواخر التي تمرّ في البحر الأحمر، حيث أصبحت تشكّل نحو 0,5% إلى 0,7% من قيمة البضائع بعد أن كانت في بداية الشهر الحالي نحو 0,07%. ثم هناك الكلفة غير المباشرة لتعطّل سلاسل التوريد، وهي تلك التي تتمثّل في تأخر وصول البضائع، وهو ما ينعكس خسائر مؤكدة. فإذا كانت البضائع للاستهلاك النهائي، ستنتقل الخسارة إلى التاجر المستورد غير القادر على تصريف بضائعه، وإذا كانت بضائع تُستخدم في الإنتاج، تتأخر عمليّة الإنتاج في الاقتصاد المستورد. وهنا ينتقل الخلل في سلاسل التوريد إلى الاقتصاد الحقيقي، الذي لا يمكن معالجة مشكلاته إلّا عبر حلّ أصلها (وهنا الحلّ هو العودة إلى الإبحار في البحر الأحمر).

13
الف كيلومتر هي المسافة الإضافية التي يجب سلوكها للالتفاف حول افريقيا بدلاً من المرور في البحر الاحمر

5%
هي نسبة النفط الخام الذي يمرّ عبر باب المندب من حركة النفط الخام البحرية العالمية

85 %
من نشاط ميناء إيلات تراجع منذ تكثيف الهجمات ضد سفن الشحن المتوجّهة من وإلى ميناء إيلات. وذلك بحسب الرئيس التنفيذي للميناء الإسرائيلي. غدعون غولبر

الشركات الغربية ليست الوحيدة

صحيح أنّ شركات الشحن الصينية الكبرى لحقت بالشركات الغربية في تعليق سلوك مسار البحر الأحمر، ولكنّ هذا الأمر لا يعني أنها ستبقى على هذا الحال لوقت طويل.

محوران يتأثران بملف سلاسل التوريد: الأول هو المحور الأوروبي، و الثاني هو المحور الآسيوي. وعلى رأسه الصين كأكبر دولة منتجة في العالم. ومن الطبيعي أن يصيب الضرر الحاصل، بسبب تعليق الإبحار عبر باب المندب، البلدان المُصدّرة. ولأن التهديد الحقيقي ليس لكل البواخر المارّة في البحر الأحمر، وهو أمر تعرفه الصين بعيداً عن البروباغندا الغربية، قد لا تطول المدّة قبل أن تقرر الشركات الصينية العودة للإبحار في البحر الأحمر.

وكأكبر مُصدّر في العالم، تهدف الصين إلى إيجاد أفضل السُبل لنقل بضائعها نحو مختلف بقاع العالم، وهو أصلاً أحد أعمدة مبادرة «الحزام والطريق»، تحت عنوان «التجارة من دون عوائق». وفي حال عادت الشركات الصينية للإبحار في البحر الأحمر، قد يُشكّل هذا الأمر مشكلة للشركات الغربية، لأنه في هذه الحالة تؤمّن الشركات الصينية بديلاً أقل كلفة لنقل البضائع من شرق آسيا إلى أوروبا، ما يعني أنها ستتقدّم على الشركات الغربية في المنافسة على حصّة قطاع نقل البضائع البحري.

في الخلاصة،إن تبعات تعليق سلوك مسار البحر الأحمر ليست عملية سهلة، والضغط الذي تمارسه الشركات الغربية، ومن خلفها الولايات المتحدة على اليمن، غير مستدام، لأنّ نتائجه السلبية على الاقتصاد الأوروبي في الدرجة الأولى، ستكون كبيرة، سواء لناحية ارتفاع أسعار السلع القادمة من الشرق، أو لناحية عرقلة سلاسل التوريد. ومن المثير للاهتمام معرفة كم ستتحمّل شركات الشحن أن تبقي على قرارها.

(أ ف ب)

قناة السويس أحد الخاسرين

نحو 103 بواخر عدلت اتجاهها عن سلوك الطريق إلى قناة السويس في الأسابيع الأخيرة، بحسب ما ذكرته صحيفة ذا غارديان. يعادل هذا الرقم توقّف قناة السويس عن العمل لمدة يومين، حيث تمرّ عبرها نحو 50 باخرة يومياً. وتُشكّل القناة مصدراً مهماً لإيرادات الدولة المصرية في العملة الصعبة، وتبلغ عوائد القناة نحو 2% من الناتج المحلّي المصري، بنحو 9 مليارات دولار سنوياً.

رجالات الإمارات يتنازعون المقاولة: مَن الأولى بحماية إسرائيل؟

صنعاء ـ رشيد الحداد

في اتجاه معاكس للموقف اليمني المساند للقضية الفلسطينية والرافض لجرائم العدو الإسرائيلي في قطاع غزة، يواصل رئيس «المجلس الانتقالي الجنوبي» الموالي للإمارات في جنوب اليمن، عيدروس الزبيدي، تحركاته المساندة لإسرائيل، ويقدّم المزيد من العروض للجانبين الأميركي والإسرائيلي، بفتح جبهات إسناد للكيان ضدّ حركة «أنصار الله» التي تسيطر على معظم محافظات شمال اليمن. إلّا أنّ تلك الاستماتة، التي قوبلت باهتمام الإعلام العبري، لاقت تجاهلاً من قبل الولايات المتحدة، التي تدرك ضعف تأثير المجلس.

وكان «الانتقالي» الذي دان عمليات صنعاء ضدّ الملاحة البحرية الإسرائيلية في البحر الأحمر ومضيق باب المندب أكثر من مرة الشهر الجاري، قد كثّف تحركاته الميدانية في الأيام الماضية في محافظات عدن ولحج ومضيق باب المندب، وأكد عدد من كبار قياداته، بمن فيهم الزبيدي نفسه، جهوزية ميليشياتهم للمشاركة الفاعلة في أيّ عمليات تقوم بها الولايات المتّحدة، كقائدة للتحالف العسكري البحري الجديد، ضد صنعاء.

لكن هذه الاندفاعة لم تغرِ أميركا التي تعمّدت تجاهل تلك العروض، رغم أنّها تعاني من عزلة عربية بسبب الامتناع شبه الكامل عن المشاركة في تحالف حماية الملاحة الإسرائيلية. وبحسب مصادر مقربة من حكومة عدن تحدّثت إلى «الأخبار»، فإن قيادة القوات الأميركية اشترطت أن تجري أي مشاركة لميليشيات «الانتقالي» في التحالف، تحت قيادة ضبّاط الارتباط المعتمدين من قبلها، وعلى رأسهم قائد الفصائل الموالية لأبوظبي في الساحل الغربي، العميد طارق صالح، كونه قائد «القوات المشتركة» المكلفة بمهمات بحرية منذ العام 2020، ورئيس الأركان في قوات تلك الحكومة والمحسوب على الإمارات أيضاً، الفريق صغير بن عزيز. وأشارت المصادر إلى أن ترتيبات واشنطن، في هذا الاتجاه، تعود إلى منتصف تشرين الأول الماضي، وأن القيادة الأميركية، عزّزت التعامل مع طارق صالح، كون قواته تتموضع في مناطق مهمة في باب المندب وله ارتباط بقيادة الأسطول الخامس الأميركي المتمركز في البحرين منذ سنوات، وهذا ما أثار حفيظة «المجلس الانتقالي» الذي سبق لرئيسه أن بعث بأكثر من رسالة إلى الإسرائيليين عبر الإمارات تشير إلى استعداده لتأمين المضيق الدولي الواقع غرب محافظة تعز شمال اليمن، مقابل دعمه.

ووفقاً لمصادر في «الحراك الجنوبي» تحدّثت إلى «الأخبار»، فإن قيادات جنوبية اعترضت على مخطّط إماراتي يهدف إلى إنشاء محافظة باب المندب وتسليمها لطارق صالح. وأشارت المصادر إلى أنّ تعامل أميركا وبريطانيا وفرنسا التي دفعت بسفيرتها الجديدة لزيارة باب المندب قبل نحو شهرين، مع طارق صالح، أفقد ميليشيات «الانتقالي» أي اهتمام دولي، ودفع بالإمارات إلى تسليم مهمات حماية خليج عدن لقوات صالح، كونها لا تثق بالزبيدي وتخشى ردة فعل القيادات السلفية العقائدية على قيام التشكيلات التابعة له بمثل هذا الدور. وكردّ فعل على تهميشه، قام الزبيدي، هذا الأسبوع، بزيارة مفاجئة إلى مضيق باب المندب، إلّا أنّه مُنع من دخول غرفة العمليات الأميركية - الإماراتية عند وصوله إلى جزيرة ميّون المطلة على المضيق

> الزبيدي مُنع من دخول غرفة العمليات الأميركية - الإماراتية عند زيارته جزيرة ميّون

الإستراتيجي، والتي تحميها قوات صالح. ومع ذلك، تظاهر الزبيدي بامتلاك ميليشياته الممولة من الإمارات، حضوراً عسكرياً بحرياً كبيراً في باب المندب والبحر الأحمر. وأكد، في تصريح صحافي، أن قواته ستكون جزءاً فاعلاً ومهماً من التحالف الدولي الجديد، وستُسهم في حماية الملاحة الدولية في البحر الأحمر ومضيق باب المندب.

وأبلغت مصادر عسكرية مطّلعة في الحديدة، «الأخبار»، بأن زيارة رئيس «الانتقالي» إلى مضيق باب المندب، جاءت في إطار صراع محتدم بين «الانتقالي» وميليشيات طارق صالح، على خلفية أولوية كل منهما للاضطلاع بما يُسمّى مهمة حماية الملاحة في البحر الأحمر والاستثمار بالدعم العسكري الأميركي والإسرائيلي. وكان صالح وهو عضو «المجلس الرئاسي» وأبرز الموالين للإمارات والولايات المتحدة في الساحل الغربي لليمن، قد كثّف تحرّكاته، وهاجم عمليات صنعاء ضد السفن الإسرائيلية. وجاء ذلك بعد لقاءات جرت بينه وبين الأميركيين في جيبوتي قبل أن يتم استدعاؤه من قبل القيادة الأميركية في المنامة قبل أيام.

وقوبلت تلك التحرّكات المساندة لإسرائيل، بمزيد من الانشقاقات في صفوف الفصائل الممولّة من الإمارات، لالتضمام إلى قوات صنعاء، فيما أثارت ردود فعل غاضبة في المجتمع اليمني، المؤيد بغالبيته للعمليات العسكرية ضد السفن الإسرائيلية أو المتّجهة إلى موانئ الاحتلال، والعمليات الجوية التي تستهدف العمق الإسرائيلي في إيلات. ووفقاً لأكثر من مكوّن جنوبي رافض لسياسة «الانتقالي» ونهج الإمارات المعادي للقضية الفلسطينية، فإن أي أعمال عسكرية تنفّذها واشنطن ضد صنعاء على خلفية اشتراط الأخيرة إدخال الغذاء والدواء والوقود إلى قطاع غزة، مقابل التوقّف عن استهداف الكيان، سوف تُقابَل برد من كلّ المحافظات اليمنية، بما فيها تلك الخارجة عن سيطرة «أنصار الله».

الاهتمام الاميركي بطارف صالح يثير حفيظة الزبيدي (أ ف ب)

المقاومة العراقية تضرب في المتوسط وإيلات
الفصائل للسوداني: لن نألف الاحتلال

بغداد ـ فقار فاضل

في تحوّل نوعي في مسار العمليات التي تنفذها والتي اقتصرت حتى الآن إلى حد كبير على القواعد الأميركية في سوريا والعراق، وجّهت «المقاومة الإسلامية في العراق» نيرانها نحو أهداف إسرائيلية في البحر المتوسط وإيلات على البحر الأحمر. وفي بيان أصدرته مساء أمس، أعلنت المقاومة العراقية أن مقاتليها «استهدفوا قبل أيام، هدفاً حيوياً في البحر الأبيض المتوسط، بالأسلحة المناسبة، وحقّقوا إصابة مباشرة». وفي أعقاب ذلك، قال الناطق العسكري الإسرائيلي في طائرة مقاتلة تابعة لسلاح الجو الإسرائيلي «دمرت قبل أسبوع مسيّرة كانت تستهدف إسرائيل عبر البحر». وذكرت المقاومة نفسها، في بيان آخر، أنها أيضاً ضربت «هدفاً في أم الرشراش (إيلات) المحتلة، بالأسلحة المناسبة».

ويأتي هذا التحول في ظل خلاف لا يفتأ يتعمّق بين الحكومة العراقية وفصائل المقاومة، حول استهداف القواعد الأميركية في العراق وسوريا، في الوقت الذي تواصل فيه واشنطن الضغط على رئيس الوزراء، محمد شياع السوداني، للتدخّل ووقف هذه الهجمات. وتقول مصادر عراقية، لـ«الأخبار»، إن «رئيس الحكومة طلب من تنسيقية المقاومة وقف عملياتها الهجومية ضد واشنطن في مدّة انتخابات مجالس المحافظات التي أجريت الأسبوع الماضي، لغرض تأمين سيرها بهدوء، لكن كتائب حزب الله أبلغته بأنها لن تلتزم وستواصل نشاطها العسكري». ومنذ استهداف السفارة الأميركية في بغداد قبل أسابيع، برزت شكوك كثيرة لدى المقاومة حول ميل رئيس الحكومة إلى الاستجابة لرغبة الولايات المتحدة في وقف عملها من جهة، وعدم جديته في ملف إنهاء الوجود العسكري الأميركي في العراق نتيجة ضغوط خارجية، من جهة ثانية.

ومع استمرار هجمات الفصائل، أعلنت السفيرة الأميركية لدى بغداد، الينا رومانوسكي، الخميس الماضي، أنها اتفقت مع زعيم «تيار الحكمة الوطني»، عمار الحكيم، على ضرورة وقف الهجمات التي تستهدف منشآت الولايات المتحدة في العراق وسوريا. وكذلك، أجرت القائمة بأعمال نائب وزير الخارجية الأميركية، فيكتوريا نولاند، في الأسبوع الماضي، محادثات مع السوداني ورئيس إقليم كردستان، نيجرفان بارزاني، وقيادات سياسية ودينية أخرى، بهدف الدفع في اتجاه وقف تلك الهجمات.

ويرى قيادي في «حركة النجباء»، تحدث إلى «الأخبار» مشترطاً عدم ذكر اسمه، أنه «ليست هناك انقسامات بين صفوف فصائل المقاومة، وإنما اختلافات حول قضايا تتعلّق بعملها العسكري. لكن هناك خلافاً بدأ يظهر أكثر مع الحكومة التي لا نريدها أن تخضع للاحتلال الأميركي». ويؤكد أن «موقف حركة النجباء وأمينها العام أكرم الكعبي واضح منذ البداية، وهو أن لا تراجع ولا مهادنة ولا مصالحة مع الأميركان باعتبارهم عدواً للمقاومة، ولا سيما أن لنا معهم ثأراً ودماء. فقضية وقف نشاطنا وعملياتنا العسكرية مستحيلة. بالعكس، ندرس في الوقت الحالي الانتقال إلى مرحلة ثانية أكثر تصعيداً، وربما ستبدأ خلال أيام في الذكرى السنوية لاستشهاد قادة النصر أبو مهدي المهندس والحاج قاسم سليماني». ويشير القيادي إلى أن حركته وأيضاً بعض قادة الفصائل غير راضين عن موقف الحكومة، «ولهذا نحن نتحدّث عنها ونلمّح حتى تنتبه إلى حساسية وجود المقاومة ضد الأميركان في العراق، وإلا سنبقى بلا سيادة وخاضعين مدى الحياة».

> المقاومة تدرس الانتقال إلى مرحلة ثانية من التصعيد خلال ذكرى استشهاد المهندس وسليماني

ومن جانبه، يقول القيادي في «الحشد الشعبي»، محمد الموسوي، إن «المواجهة العسكرية مع المحتل لا بد منها، لأن الطرق الدبلوماسية التي تتّبعها الحكومة أصبحت غير مقنعة. ولهذا بدأت غالبية الفصائل تضغط على رئيس الحكومة بشتى الطرق». ويضيف الموسوي، في تصريح إلى «الأخبار»، أن «أخشى ما أخشاه هو أن تصبح رؤية المحتل في العراق مشهداً طبيعياً تألفه العيون، نتيجة السكوت عنه. ليس من قبل المقاومة، وإنما من القوى السياسية التي تفكّر في المغانم والمناصب وغيرها وتنسى وجود احتلال وعدو على أراضيها». ويتابع أن «خلافات المقاومة الحالية هي بشأن التداخل بين العمل السياسي من جهة، والخط الجهادي ضد المحتل من جهة أخرى، فبعض الفصائل بدأت تسحب نفسها من المقاومة وتذهب في اتجاه العمل السياسي».

أما المحلل السياسي، جواد البديري، فيرى أنّ «أحداث غزة غيّرت مشهد الفصائل داخل العراق، بخاصة بعد الانقسامات التي حدثت داخلها وموقف بعضها من تعاطي الحكومة مع الأزمة بطريقة دبلوماسية». ويبيّن أنّ «الفصائل أصبحت فريقين، واحد يتشدّد في محاربة الأميركان وقصف مصالحهم بالصواريخ، وآخر يؤيد الحكومة وحلولها الدبلوماسية، وهذا ما ولّد انقساماً حاداً في ما بينها، فضلاً عن أنه انعكس تراجعاً في قوّة موقف الفصائل مؤخراً».

المقاومة تؤكد أن لا تراجع ولا مهادنة ولا مصالحة مع الأميركان (أ ف ب)

طوفان الأقصى

إعادة الاعتبار للعرب بعد الحرب (لا الهزيمة)

أسعد أبو خليل *

أنا أحاجُّ لسنوات أن أدب «النقد الذاتي بعد الهزيمة» (والذي ساهم فيه يساريّون مثل صادق جلال العظم وادونيس وهشام شرابي ومختار العاني وغيرهم) ألحق ضرراً بالغاً بالذات العربيّة، وأنه شوّش على مسيرة البناء العربي بعد هزيمة 1967. وليس صدفة أن اليمين الرجعي العربي (الخليجيّ الرعاية) تلقّف هذا الأدب بشوق وحماس شديديْن وروّج له. والكتابات هذه تلقّت ترحيباً حتى من قبل الصهاينة الذين ترجموا الكثير منها (يمكن العودة إلى كتابات نسيم رجوان وإيمانويل سيفان ويهوشافات هاركابي). فؤاد عجمي، قبل وفاته، حرص على الإشراف على ترجمة إنكليزيّة لكتاب صادق العظم، «النقد الذاتي بعد الهزيمة»، والذي ألهم عجمي (أوّل صهيوني عربي مُجاهِر في أميركا) في كتابه الأوّل، «المحنة العربيّة». ولا أستثني من نقدي هذا كتاب قسطنطين زريق، «معنى النكبة»، وكان من أكثر الكتب تأثيراً على الشباب العربي في حينه. زريق، في كتابه، حثّ العرب على الانخراط في «العالم الذي نعيش فيه، نجاريه في نظم العيش والفكر» (هو كان يعني العالم الغربي، حتماً، وليس الصيني أو الهندي). كما أنه دعا إلى «فصل الدولة عن التنظيم الديني فصلاً مطلقاً، وتدريب العقل وتنظيمه بالإقبال على العلوم الوضعيّة والتجريبيّة... والابتعاد ما أمكن عن الخيال المخدِّر والرومانطيقيّة المائعة». لم يكتف زريق بكتابه الذائع الصيت بعد 1948 (وكان له تأثير كبير على جورج حبش ورفاقه في الجامعة الأميركيّة في بيروت وعلى أفواج طالبيّة توالت في نادي «العروة الوثقى»)، بل زاد عليه بعد الهزيمة في عام 1967 بكتاب رديف بعنوان «معنى النكبة مجدّداً» وفيه دعا إلى مواصلة «التحديث»، وهو المصطلح نفسه الذي ساد في سياسات الحكومة الأميركيّة نحو الشرق الأوسط والذي هيمن على الدراسات الغربيّة عن بلادنا منذ الخمسينيّات حتى السبعينيّات (اكتشفوا بعدها مصطلح «المجتمع المدني»).

> معنى النكبة كان تقنياً وسياسياً وليس حضارياً وثقافياً. الغوص في تحليل الذات العربيّة نفسياً وسياسياً زرع فكرة العجز العربي واستعار من الاستشراق الغربي في ذمّ العرب

ويمكن الربط بين «أدب النقد الذاتي بعد الهزيمة» وتقارير «التنمية العربيّة» التي كانت الأمم المتحدة تصدّرها في السنوات الأخيرة بتمويل خليجي. كان كتّاب الراي في أميركا بعد 11 أيلول، من توماس فريدمان إلى ديفيد أغناطيوس وغيرهما، يستشهدون دورياً بتقارير التنمية للقول إن مشاكل العالم العربي هي مشاكل داخليّة مستعصية وإن التدخّل الخارجي والاحتلال ليسا المتسبّبَيْن للمحن العربيّة. كانت أنظمة الخليج تموّل هذه التقارير التي أرادت أن تثبت أن الغرب وإسرائيل بريئان من دمائنا، حرفياً: ثقافة الإفراط في التركيز على الحروب والفتن الداخليّة تُصبّ في مجرى تبرئة الغرب، كأنّ الغرب ليس متورّطاً حتى رأسه في كلّ الفتن والصراعات الداخليّة (مشروع إثارة الفتنة المذهبيّة في العالم العربي كان سياسة أميركيّة مقصودة ومُنسّقة مع دول الخليج وإسرائيل).

ومصطلح «التحديث» تعرّض لنقد شديد من قبل الدراسات الاجتماعيّة الغربيّة ما بعد الكولونياليّة لما فيه من تسويغ غير خافٍ لفرض الهيمنة الغربيّة على بلادنا. زريق أراد استثارة ثورة عقليّة وحضاريّة (كان مُطاع الصفدي يحدّث الجميع، كما أخبرني صادق جلال العظم، عن ضرورة إصدار مجلّة عربيّة «حضاريّة»). طبعاً، تضمّن كتابا زريق بعض الاقتراحات المفيدة عن وحدة العرب وعن توحيد الجهود وعن خدمة القضيّة، لكن أن يقرن بذلك بنبذ الخيال والرومانسيّة فهذا قطع مع الثقافة العربيّة وربط العرب بالغرب بعناوين مُضلِّلة. فكر «النقد الذاتي» كان فكر تحقير العرب ونشر فكر الانهزام والعجز. لو استرشدنا بهذا الفكر ومضامينه لما تحرّر جنوب لبنان ولا كانت غزة صامدة (وصامدة) بعد تدمير ممنهج من قبل جيش إبادي النزعة والهدف. هذا كالذي يقول لك: صحيح أن الحزب حرّر الجنوب ولا يزال يردع إسرائيل، كما لم تردع في تاريخها، لكنّ الحزب ديني العقيدة فيما كانت «جمّول» علمانيّة (من دون مناقشة علمانية اليسار العربي الذي خاف في معظم الأحيان، باستثناء الحزب السوري القومي الاجتماعي، من ضحّ فكر العلمانيّة). وهؤلاء النقّاد كانوا، بعد 1967، يعظوننا عن ضرورة تحقيق الديموقراطيّة كشرط أساسي لتحقيق النصر على إسرائيل، وأن النصر العسكري يحتاج إلى نهضة شاملة. لو أن جمال عبد الناصر وافق على اقتراحات «الإخوان» و«الوفد» واليسار المصري في إقامة نظام ديموقراطي لما كان بإمكانه تحقيق ثورة اجتماعيّة واقتصاديّة في مصر، ولما كان خدم فكرة القوميّة العربيّة كما لم يحدث في التاريخ قبله. النظام الديموقراطي المصري كان انهار قبل حدوث العدوان الثلاثي، والعدوان الثلاثي لم يكن ليحصل لأن النظام الديموقراطي (الذي كان سيأتي بـ«الإخوان» و«الوفد») كان سيتجنّب تأميم قناة السويس، وجعلها «شركة مساهمة مصريّة». لو أن روسيا تطوّرت بعد عهد لينين إلى دولة ديموقراطيّة على النمط الغربي لما كان بإمكانها تحقيق النصر التاريخي على النازية. إن ديكتاتوريّة ستالين كانت، شئنا أم أبينا، عاملاً في الصمود وفي دحر النازيّة. كل القرارات التي اتخذها من ناحية نقل الصناعات والتعبئة الشاملة وعدم الرضوخ للشروط النازية كانت مستحيلة في ظل نظام ديموقراطي منتخب.

> لو طبّقنا شروط العظم وزريق على تجربة المقاومة اللبنانيّة والفلسطينيّة لما كان بالإمكان تحقيق ما تحقّق من نصر إعجازي (للأمانة، هشام شرابي تكيّف مع مجريات المقاومة اللبنانيّة وكان شديد الاعتزاز بنصرها وإنجازاتها ولم يكن أبداً يعتبر أن عقيدتها الدينيّة مانعاً أو مشكلة. وكان دائم الظهور على «المنار» عندما غادر أميركا واستقرّ في بيروت حيث توفي). فكرة أن النصر على إسرائيل يحتاج إلى ثورة حضاريّة وإلى نبذ الرومانسيّة والخيال («المُخدِّر») تبخّرت فيما جرى في جنوب لبنان وما يجري في غزة لم تكن لا العلمانية ولا الدولة المدنيّة ولا النهضة الحضاريّة ضروريّة. إنّ الخيال المخدِّر هو الذي طوّر نظام الأنفاق في غزة، وهو الذي طوّر أساليب القتال بصورة لم تعرفها حركة مقاومة من قبل. ومهارة المقاومة اللبنانيّة لم تكن إلا نتاج المزاوجة بين العلم والمعرفة والتدريب الدؤوب والصبر والخيال الجامح، وحتى الرومانسيّة المائعة التي حذّر قسطنطين زريق منها. بعد 11 أيلول، أفتى عدد من خبراء العسكريّة والاستخبارات في أميركا بأن الفشل الأميركي كان فشلاً في الخيال، لأنهم لم يتوقّعوا هذا النوع من العمليّات. وتلافياً لما قد يلي، استدعت الحكومة عدداً من خبراء السيناريو والإخراج من هوليوود لمساعدة الحكومة في ترصّد عمليّات لم تخطر على بالهم من قبل. وسافر مستشار بوش يومها، كارل روف، والتقى بنخبة هوليوود لجلب اقتراحات عمليّة.

إنّ فشل الجيوش العربيّة في الحروب لم يكن أبداً فشلاً حضارياً. الأسباب كانت معروفة ومحدّدة. غياب الديموقراطية ليس منها. هذا الأسبوع باتت «نيويورك تايمز» تكرّر أن الحوثيّين ربحوا الحرب ضد السعوديّة. فشل العرب في الحروب هو فشل في التخطيط والإعداد والتنظيم والتعبئة والتصميم. فكرة الحاجة إلى نهضة حضارية لا يستقيم الذهن من دونها كانت أشبه بطرح شروط تعجيزيّة للخروج من المحنة التي تلت النكبة. لم تكن الدعوات إلى الديموقراطيّة إلا ستاراً لعودة القوى السياسيّة التي سادت زمن الاستعمار، والتي سهّلت التدخّل الغربي الصفيق.

إنّ تجربة مقاومة غزة ولبنان واليمن، وحتى العراق ضد «داعش» والاحتلال الأميركي، تثبتُ أن ليس من وهن في العقل العربي وليس من حاجة إلى نهضة أو إعادتنا إلى المصنع كي يُعاد صوغنا من جديد. العنصر العربي لم يكن هو المشكلة، ولو كان هناك تنظيم وإعداد وتسليح لانتصر العرب في حرب 1948، ومن دون ديموقراطيّة ومن دون إصدار مجلّة حضاريّة ومن دون التخلّي عن الرومانسيّة المائعة، حسب وصف زريق. أن تحقّق نتائج مختلفة، لكن من الإنصاف الاعتراف بأن تجربة المقاومات الحاليّة استفادت من الخبرة التراكمية في ارتكاب الأخطاء وتحقيق بعض النجاحات الصغيرة في الماضي. كل حركة مقاومة تبني على ما سبقها، والمقاومات اليوم في وضع يسمح لها بتسجيل درجات عالية من النجاح المُبهر. احتاجت أميركا أن تشكّل قوى عالميّة (ضمّت في ما ضمّت أسطول «سيشيل») للوقوف بوجه «أنصار الله» في اليمن. لا يحتاج اليمن إلى تحديث نهضوي كي يهزم هذا التحالف الصفيق. ذمّ العرب صناعة غربيّة، وإن استبطنها بعض العرب، وهي تهدف إلى تعجيزنا وتيئيسنا بوجه إسرائيل. لكن، لماذا يبدو المشروع الصهيوني برمّته عاجزاً ويائساً؟

* كاتب عربي - حسابه على تويتر @asadabukhalil

(أ ف ب)

حرب بلا قواعد!

سعد الله مزرعاني *

المفاجأة الكابوسية التي استفاقت عليها القيادة السياسية والأمنية الإسرائيلية صبيحة السابع من أكتوبر الماضي في «غلاف غزة»، قادت سريعاً، بانفعال وارتجال، إلى إقرار وبلورة سياسة عامة، بل نهج سياسي وسلوكي متكامل حيال ما حصل. مقتل ثلاثة محتجزين إسرائيليين (منتصف الشهر الحالي) من قبل وحدة من القوّات الإسرائيلية التي كانت تسعى لتحريرهم، كان محطة شديدة التعبير والدلالة في مجرى هذا النهج المذعور والدموي والبربري الذي طبع، ولا يزال، مجمل التوجهات والإجراءات الإسرائيلية حيال غزة ومقاتليها ومدنييها وعمرانها وأسباب الحياة فيها. هذا النهج شمل أيضاً «الضفة الغربية» المحتلة في نطاق حملة اعتداءات إرهابية متواصلة على مخيماتها ومدنها (شارك فيها همجيو المستوطنين المسلحين بإشراف وتشجيع من السلطة الصهيونية).

تبلور هذا النهج، بالصوت والصورة، أمام أنظار العالم المشدوه، القريب والبعيد، عبر أقصى توتر وغضب وخيبة من قبل القيادة الإسرائيلية، مقترناً بإجراءات عسكرية إجرامية، وبتهديدات عالية النبرة، وبتحديد أهداف قصوى، وبإطلاق «كلام كبير» وصريح، بشأن مجمل المشروع الصهيوني، لم يُعلن بهذا الوضوح سابقاً! كان الأكثر هياجاً رئيس الحكومة الإسرائيلية بنيامين نتنياهو، المطلوب من قبل القضاء والذي خاض معركة ضارية لاستتباعه، ثم أقطاب «حكومة الحرب» ذات الطابع الائتلافي غير الشامل رغم فداحة الأزمة، فضلاً، طبعاً، عن عتاة المتطرفين.

لم يكن ذلك مستغرباً بمقاييس عديدة ولعوامل وأسباب، من أبرزها:

أولاً، وقعُ صدمة «طوفان الأقصى» كان هائلاً، حتى الضياع، بمقدار ما كانت نتائجها، لجهة العبور والسيطرة والخسائر والمحتجزين، ضخمةً وغير مسبوقة.

ثانياً، وقعُ وأهمية مسارعة قادة العالم الغربي إلى الحضور إلى تل أبيب، للدعم والتحريض، بدءاً بالرئيس الأميركي وكل أركانه السياسيين والأمنيين والعسكريين. كشفَ هذا الحضور الذي رافقته الإسرائيليين، في جانب منه، حجم الضياع والارتباك الأساطيل، في جانب منه، حجم الضياع والارتباك

ثالثاً، ضراوة الهجوم التدميري الإبادي التهجيري، الأعمى والموجّه ضد البشر والحجر والعمران والبنية الخدماتية والصحية في قطاع غزة. الذي باشرته «حكومة الحرب» على نحو همجي وشامل. لم يستثنِ هذا الهجوم، الذي استهدف المدنيّين خصوصاً، أحداً في القطاع، من منظمات دولية وصحية وتربوية، ما أثار موجة من الاستهجان والشجب الشديديْن، تجسّدت، تباعاً، في تظاهرات صاخبة وواسعة وحاشدة، نَدّدت بالسلطات الإسرائيلية وبداعميها، وساهمت، إلى حد غير مسبوق، في كشف الإرهابي الحقيقي، وفي فضح الرواية المضلّلة الإسرائيلية الغربية بشأن الصراع والمسؤوليات والحلول.

رابعاً، تجاوزت هذه الحرب كل الحروب السابقة من حيث المدة، على غموض وشك كبيريْن، بشأن نهايتها وتفاعلاتها ومآلاتها، في الكيان الصهيوني، وعلى المستويين الإقليمي والدولي. في هذه الحرب، إسرائيل، وعلى نحو لافت، لم تكن هي المبادرة: لا في بدايتها ولا في نهايتها. العامل الخامس، المتصل بالعامل الرابع مباشرة (وبسواه بشكل غير مباشر)، هو فتح معركة الضفة الغربية المحتلة بالتزامن مع معركة قطاع غزة. ذلك أن مشروع التهجير يشمل كل فلسطين وصولاً إلى ما يسمى بفلسطينيي الـ 48. فبمقتضى «يهودية الدولة» ومشروع السيطرة على كل فلسطين التاريخية، لا مكان للفلسطينيين في هذا المشروع إلا خاضعين أو مسخّرين. الإبادة هي الأخرى، إلى التهجير، أداة ليست طارئة على أساليب الصهاينة لفرض مشروعهم الاغتصابي الاحتلالي. لطالما كانت المجازر والتمييز والإرهاب والحصار والتجريف... أدوات قائمة في صلب المشروع وفي شروط توسّعه وترسّخه. وهكذا هو الوضع الآن، أملاً في فرض «خريطة جديدة» للشرق الأوسط (وليس لفلسطين وحدها) كما أعلن نتنياهو في أول تصريح له بعد عملية «طوفان الأقصى».

العامل، أو السبب السادس، هو وجود مجموعة من المتطرفين المهووسين في قيادة الحكومة الإسرائيلية: في مواقع أساسية، تحكم استمرار رئاسة ومصير نتنياهو نفسه، وتتحكّم بالأمن والمال في السلطة الإسرائيلية.

أمّا العامل السابع، فهو مبادرة «حزب الله»، إلى إعلان تضامنه مع المقاومة في غزة. عبر فتح معركة استنزاف على طول الحدود اللبنانية مع قوات العدو في فلسطين المحتلة. حصل ذلك رغم الجهود والضغوط الهائلة التي بذلتها إدارة الحرب بقيادة واشنطن: لعدم أو لمنع فتحها، ومن ثم، لعدم توسيعها، وأخيراً، لإيقافها تلبية للمصالح الإسرائيلية.

ثامناً، التدخل اليمني، عبر قيادة صنعاء، بغرض حصار في البحر الأحمر والخليج العربي على السفن الإسرائيلية، وعلى تلك التي تتجه إلى ميناء «إيلات». يمكن أن نُضيف عوامل أخرى ليست قليلة الأهمية.

> إنه جموح جنوني مذعور فاقمته الإخفاقات والخسائر في الميدان المستعصي، والدعم المفتوح والإجرامي من قبل واشنطن وفريقها الأطلسي

وصله من أميركا أحدث ما يُنتج من سلاح متطوّر وفتّاك) من قوى المقاومة في لبنان وغزة. هذه من المعجزات العربيّة. وتجربة إيران تحت الحصار لم ولن تحظى بدراسة من قبل العرب لأنه من غير المسموح النظر إلى إيران بعين موضوعيّة. إيران تتفوّق على العرب في البحث العلمي الطبّي المنشور، كما أنها أرسلت أقماراً صناعيّة وهي في طور إرسال مركبات فضائيّة مأهولة بحدود عام 2029. وإيران تتوصّل إلى هذه الإنجازات بقدراتها الذاتيّة، من دون شرائها من دول غربيّة، على طريقة الإمارات. إيران تعاملت، مثل كوريا الشمالية، مع العقوبات الدوليّة على أنها فرصة للاكتفاء الذاتي والتطوير الذاتي. طبعاً، كثر يسخرون من إيران ومن شكل تصنيع سيّاراتها لكن الجهة نفسها التي تسخر من إيران كانت في الماضي تسخر من التصنيع المصري في عهد جمال عبد الناصر.

معنى النكبة كان تقنيّاً وسياسيّاً وليس حضارياً وثقافيّاً. الغوص في تحليل الذات العربيّة نفسيّاً وسياسيّاً زرع فكرة العجز العربي واستعار من الاستشراق الغربي في ذمّ العرب. إنّ صمود الشعب الفلسطيني أمام هجمة صهيونيّة عالميّة امتدّت لأكثر من قرن من الزمن هو معجزة بحدّ ذاتها بالرغم من التضحيات والخسائر والتدمير. القوة العالميّة العظمى احتضنت وتبنّت إسرائيل منذ الحرب العالميّة الثانية لكنّ الشعب الفلسطيني لم يستكن أو ينكسر كحالات بعض السكّان الأصليّين (هذا لا يقلّل من تأثير الوحشيّة الفظيعة التي استخدمها البيض ضد السكان الأصليّين هنا). عندما توفّرت الإرادة والصلابة استطاعت قوى تطوّعية تحقيق إنجازات عسكريّة وإعلاميّة فذّة ضد قوى عالميّة تحظى بدعم أقوى دولة في العالم. كان يمكن لمنظمة التحرير، مثلاً، أن تحقّق نتائج مختلفة، لكن من الإنصاف الاعتراف بأن تجربة المقاومات الحاليّة استفادت من الخبرة التراكمية في ارتكاب الأخطاء وتحقيق بعض النجاحات الصغيرة في الماضي. كل حركة مقاومة تبني على ما سبقها، والمقاومات اليوم في وضع يسمح لها بتسجيل درجات عالية من النجاح المُبهر. احتاجت أميركا أن تشكّل قوى عالميّة (ضمّت في ما ضمّت أسطول «سيشيل») للوقوف بوجه «أنصار الله» في اليمن. لا يحتاج اليمن إلى تحديث نهضوي كي يهزم هذا التحالف الصفيق. ذمّ العرب صناعة غربيّة، وإن استبطنها بعض العرب، وهي تهدف إلى تعجيزنا وتيئيسنا بوجه إسرائيل. لكن، لماذا يبدو المشروع الصهيوني برمّته عاجزاً ويائساً؟

إسرائيل... جاء زمن الهزائم!

صادق النابلسي *

لم تعد إسرائيل بعد عام ألفين تستطيع أن تحتفل بنصر. منذ انسحابها المذلّ من لبنان وهي في أزمة إنتاج نصر ولو على مستوى الصورة. لم تعد إسرائيل بالرؤية نفسها، ولا بالجحم نفسه، وحتماً لم تعد بالأشخاص أنفسهم الذين بنوا إسرائيل القديمة المتمثلة هيبةً وطموحاً وغروراً. ثم أصبح «عالم» إسرائيل ما بعد الحرب على لبنان تموز 2006 مهدّداً بالضائقة الأمنية، على الرغم من كل ما بنته إسرائيل لنفسها من نظام للأمن والتعاون مع دول عربية وغربية يضمن سلامتها وتفوّقها ورخاءها. الإفراط في استعمال القوة لم يأتِ بوسيلة لتخفيف عبء الأمن، والمظلّة النووية هي الأخرى لم تجعلها تنام في أمانها. المشكلة دائماً كانت تنتظر عند نقطة في المستقبل لا تريد أن تأتي، بل لا يمكن الوصول إليها.

مع «طوفان الأقصى» تعقّدت شروط الأمن أكثر، وتعقّد النصر معها حكماً. ما حصل أدّى إلى تغييرات عنيفة في مواقع القوة ليس بالضرورة ما هو مرتبط بنوعية السلاح وحجمه وفعاليته، وإنما لجهة الإرادة والمبادرة والذكاء التاريخي والأداء الميداني. الفلسطينيون الضعفاء المساكين يتحدّون الكبار الأقوياء. هذه هي القضية الخطيرة. لم يضرب هؤلاء الذين يعيشون في «سجن في الهواء الطلق» أسس الكيان الصهيوني في السابع من أكتوبر الفائت فحسب، بل هزّوا منظومة الهيمنة الغربية. لذلك «اشتعل الراس شيباً» في الكيان وفي أوروبا وأميركا على هذه العملية الجريئة التي يتنبأ العارفون بتداعياتها أنها قد تجرف كل الأوضاع القديمة في الشرق.

فكّرت إسرائيل خلال السنوات والأشهر السابقة لـ«طوفان الأقصى» بأن تُبقي غزة معزولة متخلّفة، قطاعاً مقهوراً لا يحمل إلا أقداره البائسة، لا يستطيع أن يُعطي نفسه فاعلية تؤثر في موازين الصراع. وفي هذا كانت إسرائيل تريد أن تظلّ اهتماماتها متجهة إلى حزب الله في الشمال. فهناك بحر الأخطار. أمّا أن تأتي الضربة على الرأس من غزة، وهي ليست جزءاً من كل جغرافيا العرب، فكان ذلك خارج كل تصور وتوقع. صحيح أنّ المقاومة في غزة خصم عنيد، وهذا ما خبرته إسرائيل في جولاتها القتالية المتكررة السابقة، لكن لم يكن في الحسبان أن تؤدي عملية «طوفان الأقصى» إلى كل هذا الألم والمرارة والمهانة. لم تكن الضربة من حزب الله الذي يملك إمكانية إذلال إسرائيل، بل كانت من طرف ضعيف محاصر من كل جهات الأرض. لسان حال الصهاينة: «لقد جرح الغزّيون كبرياء إسرائيل إلى الأبد، وهزّوا كل يقينيّاتها العسكرية والدينية والسياسية. أيّ خدعة هي قوة إسرائيل هذه!».

المهم أنّ إسرائيل التي تريد استعادة أمنها تحرّكت بسرعة وملأ الوقت. ولكن تحركت بجنون وملأته بالقتل. حيّدت السياسة والتاريخ وبدأت تتصرف كوحش متعطش للدماء. وظهرت بمظهر العرب حين وقوع الصدمات، أي بمنطق قَبَلي لا بعقل استراتيجي محسوب. في الحرب، هناك مناورات محدودة وعند اللزوم يتوقف المحارب عند حدّها، لكن إسرائيل التي أرادت أن تحفظ ماء وجهها قررت أن تنزل إلى حرب لا تعرف كيف تكون نتائجها.

بعض المسؤولين الإسرائيليين، وهذا ما ظهر من مواقفهم في الأيام الأولى لـ«طوفان الأقصى»، انجرفوا إلى الحرب وقبلوا منطق استعراض القوة، لا من زاوية القناعات وإنما بفعل الضرورات. الضرورات المرتبطة بالهيبة والصورة والكبرياء، وهم يعلمون أنّ إسرائيل لا شك ستغرق في الوحل وأنها ستقع في شرَك لا تقدر على الخروج منه، ومع ذلك غلبت روح الانتقام والثأر روح العقل، ودخلت في المحظور الذي ظلّت تتجنّب الدخول فيه، وهو احتلال غزة بريّاً لقطع الخسائر فزادت، ولطلب مزايا أكثر فتبدّد ما كان سابقاً متاحاً لها. إنّ إسرائيل، وهي على هذه الحالة من التوتر، لا تعرف ما هي الخطوة المقبلة. وهي قبل ذلك لا تملك تصوراً كاملاً عن الخطوة الحالية التي تجاوزت السبعين يوماً. هي أثبتت أمراً واحداً أنها آلة تدمير كبيرة وتصفّي ثأرات وحسابات غير واعية، وفي أعماقها تحسّ بالحقيقة موجعة وأنها بالفعل تعرّق في مستنقعات الجغرافيا والسياسة، دون أن يتقدّم أحد مالكاً للقدرة الاستراتيجية الفعلية على فتح الباب أمامها لترتيبات تحدّ من متاعبها وتحول دون انهيارها.

لقد بدأت إسرائيل تحسّ، وتحديداً منذ الأسبوع الثاني للحرب، بأنّ مناصري فلسطين من كل أنحاء العالم واتتهم فرصة غير مسبوقة لإحياء قضية الشعب الفلسطيني من جديد، وهم يفعلون كل ما بوسعهم للتنديد بأعمال إسرائيل العسكرية، ويضغطون، وخصوصاً في أوروبا وأميركا، على حكوماتهم لوقف النار. والأمر الأخر أنّ الحرب لم تكن مجرد مناسبة لتشمت فيها إيران بهشاشة إسرائيل وبقدرتها على أذيّة هذا البلد والردّ عليه عسكرياً عبر حلفائها الفلسطينيين، وإنما لتختبر، ولأول مرّة، مع بقية أركان محور المقاومة، جهود التنسيق في البر والبحر والجو. يا لهذه النتيجة! أرادت إسرائيل أن تتصرّف كقوة عظمى، لكنها الآن تتخبّط وسط أوهام الأهداف التي رفعتها وتحاول مع كل شركائها العثور على يقين بنصر محدود فلا تجد. كان أقرب يقين طرح عليها يتعلق بفك الاشتباك ووقف النار بعد فشل كل الضغوط العسكرية والديبلوماسية التي مورست على المقاومة الفلسطينية وحزب الله على وجه الخصوص. لكن هناك مَن يكابر ويصرّ على فوز لا يتطابق مع مجريات الميدان، ولهذا المعارك ما زالت تدور رحاها.

> إسرائيل، بحكومتها الحالية، لم تعد قادرة على ربط الحرب بنتائج سياسية لمصلحتها. تواصل القتال لكنّ القتال غير الحرب

كانت تجربة حرب تموز 2006 قاسية على العقل السياسي والعسكري، أمّا مع «طوفان الأقصى» فالتجربة دامية قاتمة والأفق مكفهرّ ومعبّأ باحتمالات مجهولة.

في إسرائيل هناك اقتناع بأنّها، على الرغم من آلة الدمار الهائلة التي تمتلكها وتستخدمها بقوة، ما عادت تخيف. وهذا بالفعل شيء يخيفها كثيراً. وهناك جزم بأنّ حزب الله حين يتحرك بقوته الكاملة التي هيّأها «نصر الله» لن يتمكّن أحد من حماية إسرائيل من طوفان أكبر لا تعرف إسرائيل على أيّ شاطئ سيضعها!

إذا كان سلاح «إسرائيل القديمة» في حرب 1948 والـ1967 و1973 لم يخذل سياستها، واستطاعت عبر القوة إرغام العدوّ وكسر إرادته، فسلاحها بعد عام 2006 يخذل سياستها. من الواضح أنّ عملية الربط بين السلاح والسياسة في هذه العملية العسكرية على غزة ضعيفة هشّة، ثم إنّ المقاومة ما زالت تقاتل بإرادة فولاذية وبمعنويات عالية تتخطى أيّ تصور وتسمو على أي قياس.

إسرائيل، بحكومتها الحالية، لم تعد قادرة على ربط الحرب بنتائج سياسية لمصلحتها. تواصل القتال، لكن القتال غير الحرب. القتال بالأدوات والنيران، بينما الحرب هي شيء آخر. هي صراع إرادات. ولهذا تشعر إسرائيل، على الرغم من كل الأحاطة الغربية والدعم العربي الرسمي، بأنّ هزيمة كبرى بانتظارها. في الوعي الاجتماعي الإسرائيلي، حُسمت المسألة بـ«الجثّة ليست هنا». وفي الوعي العسكري، تحسم المسألة شيئاً فشيئاً «لقد جاء زمن الهزائم»!

لقد رويت لنا معارك وحروب العرب التي هزموا فيها كلّها، أمّا «طوفان الأقصى» فهذه قصة من نوع آخر. هي مجال من مجالات صنع المستقبل. مستقبل حافل بالانتصارات.

* أستاذ جامعي

قضية اليوم

فضيحة شهادات الطلاب العراقيّين في «التربية»

عماد عثمان وعلي إبراهيم «يضبضبان» ملف فساد

فاتن الحاج

(هيثم الموسوي)

انصاع المدير العام لقوى الأمن الداخلي، اللواء عماد عثمان، لضغوط المرجعية السياسية التي عيّنته في منصبه ومدّت له، فأمر بوقف التحقيق في ملف فساد في وزارة التربية لحماية فاسدين يتبعون للمرجعية نفسها. ولحماية هؤلاء، ارتكب عثمان مخالفة فاضحة لأحكام قانون أصول المحاكمات الجزائية متدخّلاً في عمل القضاء، فلم ينتظر إشارة من النائب العام المالي القاضي علي ابراهيم لإقفال الملف المتعلق بتلقّي رشى مقابل تسريع تسليم شهادات للطلاب العراقيين، بل طلب من فرع المعلومات وقف التحقيق وإقفال الملف وتحويله إلى النيابة العامة المالية. وإذا كان ذنب عثمان عظيماً، فإنّ خطيئة إبراهيم أعظم، بموافقته على وقف الضابطة العدلية التحقيقات، وطلبه أن يحوّل إليه الملف مع هواتف الموظفين والسماسرة الموقوفين والمطلوب الاستماع إليهم. فالضابطة العدلية تعاون القضاء وتأتمر به ولا تأمره، ولا قدرات بشرية وتقنية لدى القضاء على التحقيق مع الموقوفين وفحص هواتفهم وغيرها من الإجراءات التي هي من وظيفة الضابطة العدلية أساساً. وكان يجدر بالمدّعي العام المالي أن يقتدي بالمحامية العامة الاستئنافية القاضية نازك الخطيب عندما أراد عثمان نفسه حماية المديرة العامة لهيئة إدارة السير والآليات والمركبات، هدى سلوم، أثناء التحقيق معها في تهم فساد، فحاول إقفال الملف. يومها رفضت الخطيب الأمر، وهدّدت عثمان بتوقيفه إن أوقف التحقيق!

السبب في كل هذه المعمعة، على ما يبدو، هو محاولة ضبضبة الملف قبل وصول الموسي إلى أمينة سر لجنة معادلات ما قبل التعليم الجامعي، رئيسة دائرة الامتحانات الرسمية في وزارة التربية، أمل شعبان، ابنة شقيق جورج شعبان، مدير مكتب الرئيس سعد الحريري (وقبله الرئيس رفيق الحريري) في موسكو. وكان فرع المعلومات قد أوقف موظفين يعملون في مكتب شعبان هم (ر. ب.) و(م. ف.) و(م. س.) و(ح. ش.)، قبل أن يخلي سبيل الثلاثة الأخيرين ويبقي على الأول الذي اعترف، وفق ما ورد في التحقيق، الذي اطّلعت «الأخبار» على جزء منه، بأنه كان يتقاضى رشى، بالاتفاق مع شعبان، لحجز مواعيد وتسريع معاملات تسليم المعادلات للطلاب العراقيين، بدلاً من التأخر لأكثر من شهرين في انتظار موعد على المنصة. وأضاف أن شعبان كانت تمرّر المعاملات في اليوم نفسه، وكان هو يتولّى قبض 250 دولاراً من صاحب المعاملة، يعطي شعبان 200 منها ويحتفظ لنفسه بـ 50 دولاراً. وفيما كان منتظراً أن تتوسّع التحقيقات لتطاول أشخاصاً آخرين في لجنة المعادلات ودائرة الامتحانات الرسمية، وكان عدد الموقوفين مرشّحاً للارتفاع، ومع ظهور اسم شعبان واتهامها بتقاضي رشى، تدخل عثمان على الفور وقطع الطريق على أيّ توقيف يمكن أن يطاولها والتوسع في التحقيق لمعرفة ما إذا هناك تورط في ملفات أخرى غير الرشى.

> سرعة غير معهودة في صدور قرارات ظنّية بموجب جنح لا جنايات قبل انتهاء التحقيق

وفي التفاصيل التي حصلت عليها «الأخبار» من مصادر قضائية مطّلعة على الملف الموجود في قلم النيابة العامة المالية، فإنّ فرع المعلومات حقق في ملف معادلات الشهادات الجامعية وعددها نحو 30 محضراً، أُحيل منها 21 محضراً إلى القاضي إبراهيم الذي أحال بدوره، وقبل إنجاز كامل التحقيقات، نحو 12 ملفاً منها إلى قاضي التحقيق في بيروت أسعد بيرم. فبادر الأخير، بسرعة غير معهودة، إلى إصدار قرارات ظنية بحق موظفين ومعقّبي معاملات وسماسرة قبل انتهاء التحقيق مع عدد منهم، وطلب الظنّ بهؤلاء بموجب جرائم الجنح وليس الجنايات كما يُفترض. وتضمّنت القرارات الظنّية اتهامات بتلقّي مبالغ مالية تصل إلى 5 آلاف دولار من طلاب عراقيين مقابل تسريع إنجاز معاملات رسمية وتصديق شهادات وتعديلها، وارتكاب جرم الإثراء غير المشروع. تجدر الإشارة إلى أنّ جزءاً من الملفات التي ادّعى فيها إبراهيم (ملف أمل شعبان ليس من بينها) وأحالها إلى بيرم، عاود استئنافها قبل أن تحال إلى رئيس الهيئة الاتهامية في بيروت القاضي ماهر شعيتو الذي صادق على قرار بيرم.

وتشير مصادر مطّلعة على الملف إلى أن رضوخ النيابة العامة المالية والقبول بختم قوى الأمن التحقيقات من دون مبرّر وتحويل جزء من الملفات إلى قاضي التحقيق لتصدر القرارات بسرعة قياسية مؤشر على وجود ضغوط للفلفة التحقيق في الملفات. والتبرير الوحيد لقبول إبراهيم بختم عثمان التحقيقات، هو تقاطع المصالح لكون شعبان محسوبة على الرئيس الحريري، فيما عدد من الموقوفين محسوبون على حركة أمل.

فهل أتى التمديد للمدير العام لقوى الأمن الداخلي ليغطّي على الفساد أم ليطبق القانون؟ وما هو موقف رئيس مجلس النواب نبيه بري، الذي أكد في بداية التحقيقات في الملف رفع الغطاء عن الموظفين، وكيف رفع الغطاء عن جميع الموظفين والسماسرة في تزوير الشهادات في الجامعة الإسلامية ولم يرفع عندما وصل التحقيق إلى شعبان؟ وما هي التخريجة التي سيلجأ إليها القاضي إبراهيم المحسوب بالسياسة على بري؟ هل سيحوّل الملف إلى مكتب الجرائم المالية، حيث الفاخوري الذي يركب أذن الجرّة كما يريد؟ وأين وزير التربية، عباس الحلبي، من كل هذه التطورات؟ هل هو مع توقف التحقيقات، علماً أنه أكّد سابقاً أنه لن يغطي أيّ موظف؟ وما هي الإجراءات من طلاب عراقيين مقابل تسريع التي اتخذها بحق شعبان في انتظار التحقيق؟ ولماذا استقبل عثمان أخيراً؟ ولماذا زار جورج شعبان في مكتبه أخيراً أيضاً؟ وهل لا تزال النائبة بهية الحريري التي زارت الحلبي قبل يومين تمسك بالملف التربوي بعد خروجها من لجنة التربية النيابية؟

تقرير

مباركة المثليّين في لبنان: الاختلاف الكنسي والطائفي

> إعلان الفاتيكان السماح بمباركة زواج المثليّين يأخذ في لبنان طابعاً مختلفاً في ضوء تجربة الكنائس المحلية مع رعاياها ونظرة الطوائف الإسلامية الرافضة كليّاً

هيام القصيفي

الإعلان الذي أصدره الفاتيكان حول مباركة أزواج مثليّين كان منتظراً إلى حدّ كبير، بعد أول دورة للسينودوس شهدت نقاشاً وانقساماً حول رؤية الكنيسة لزواج المثليّين. وبسبب الجدل القائم منذ سنوات، استبق البابا فرنسيس الدورة الثانية للسينودوس، بموافقته على إعلان مجمع عقيدة الإيمان، والذي تراوح التعامل معه بين ترحيب مطلق كخطوة أولى نحو تكريس زواج المثليّين، ورافض له في شكل تام.

إضاءة وسائل الإعلام الغربية والمراكز الدينية المتخصصة تناولت في شكل أساسي فهم حيثيات الإعلان، وما الذي دفع البابا إلى خطوته، في ظل انقسام حادّ بين صفوف الكنيسة وحمائمها، ولا سيّما أنّ لدى المحافظين شكوكاً كثيرة في التغييرات الجذرية التي يسعى إليها البابا، سواء أفي ما يتعلّق بدور المرأة في الكنيسة أم زواج رجال الدين.

نصّ القرار على سلسلة تدابير (وتفسيرات لاهوتية) يفترض على الكاهن، أو أيّ كان من المعنيّين، الأخذ بها حكماً، مع تأكيد الكرسي الرسولي المتكرّر أنّ المباركة لا تعني سرّ الزواج. مع ذلك، عُدّ القرار انتصاراً لمجتمع المثليّين الذي يبدي جزء منه تعلّقاً بالكنيسة الكاثوليكية، ويحرص على ممارسة شعائرها. ولم يتوقّف المرحّبون عند حرص الفاتيكان على تمييزه عن أيّ مباركة لزواج مثلي.

وفي الدول التي تبدي انفتاحاً حيال مجتمع المثليّين، لم يكن القرار مفاجئاً، لأنّ الفاتيكان كان قد طرح هذا النقاش في جلسات السينودوس الأخير، تلبيةً لرغبة البابا، وانسجاماً مع تطلّعات أساقفة أوروبيّين وأميركيّين منفتحين على نقاش جديد لموضوع مشاركة المثليّين في كنيستهم.

لكن الأمر في لبنان مختلف، لأنّ للإعلان تداعيات تتعلّق بمواقف الطوائف الأخرى، وهذا ما عبّر عنه المفتي الجعفري الممتاز الشيخ أحمد قبلان، أول من أمس، بردّه العنيف على الفاتيكان، رفضاً مطلقاً لأي مقاربة لموضوع المثليّين. أضف إلى ذلك، الخلاف الداخلي في الكنيسة المارونية، وفي الكنائس التي تتبع الفاتيكان، حول هذا الإعلان، مع وجود قسم كبير من المحافظين الرافضين لمثل هذه الخطوة. وقد كانت بكركي، إلى وقت قصير مضى، جزءاً من حملة محاربة «الشذوذ الجنسي»، رغم أنّ الكلمة مرفوضة إنسانياً وقانونياً، واستقبلت في أب الماضي رئيس حكومة تصريف الأعمال نجيب ميقاتي ووزراء، في لقاء تشاوري طرح فيه مطارنة تناول الكتب المدرسية موضوع «الشذوذ»، مطالبين بضرورة التعامل مع الأمر بجدية. واستناداً إلى أحداث شهدتها مناطق عدّة ضدّ تجمّعات مثلية، يصبح إعلان الفاتيكان مثار تساؤل عن كيفية تعامل منظمات أصولية، مسيحية وإسلامية، مع أي تطبيق كنسي للإعلان الفاتيكاني، وكيف سيترجم

> ما اصدره الفاتيكان «إعلان» وليس «قراراً»، وتدبير إجرائي وليس عقيدةً إيمانيّة، ما يعني أنه غير ملزم للكنائس لتطبيقه

ذلك في لبنان مدنياً، وكذلك أمنياً مع ملاحقة بعض الأجهزة الأمنية المثليّين تحت أي عنوان.

بحسب مصادر كنسية عدة، ثمّة مسلّمات وملاحظات لا تتعلّق فقط بالنظرة إلى الكنيسة على أنّها حالة متقدّمة في موقفها من المثليّين، في وجه الحالة المحافظة التقليدية:

أولاً، إنّ الكنائس المعنية بإعلان الفاتيكان تدرس النص قبل إعطاء رأي صريح وعلني يصدر عن الكنائس نفسها. لكن العناوين الأولى تقول إنّ الإعلان الفاتيكاني «إعلان» وليس «قراراً»، وهو تدبير إجرائيّ وليس عقيدةً إيمانية، ما يعني أنّه غير ملزم للكنائس لتطبيقه. وبما أنه إعلان وتوجيه، على أهميته، تبقى الحرية لرجال الكنيسة للالتزام به لجهة إعطاء البركة أو عدمها. وهذا يفسح المجال أمام الكنائس لتقديم تفسيرات له. فالكنيسة في لبنان مسؤولة أمام رعاياها ومجتمعها، وما يسري في دول غربية لا يمكن تطبيقه في لبنان بالضرورة. ولا يشكّل عدم الالتزام بالإعلان مخالفة لانتماء الكنيسة المحلية إلى الكنيسة الجامعة، لأنّ النص في ذاته أعطى حرية العمل فيه، إضافة إلى أنّ الإعلان ليس عقيدةً تلتزم بها الكنائس من صلب إيمانها. علماً أنّ هناك دوائر كنسية سبق أن بدأت، انسجاماً مع ما كان مطروحاً في السينودوس، درس واقع التعامل مع المثليّين في الكنيسة.

ثانياً، إنّ النص اعترف للمرة الأولى بالثنائي المثلي، ولكنّه حدّد في الوقت نفسه سلسلة شروط ومبادئ للبركة التي ستعطى لهما. فالبركة لا تشمل رتباً مقدّسة، ولا طقوساً ليتورجية، وليست احتفالاً عاماً، ولا تمتّ بصلة إلى العرس بمعناه الكنسي والاحتفالي. والأكيد أنّ هناك خشية كنسية من «لبننة» الإعلان، بلجوء البعض إليه من أجل الاحتفالية العامة، فما صدر، وهنا يأتي دور الكاهن، بمنع أيّ تخطٍّ لحدود ما رسمه البابا، احتفالية ولباساً وكلاماً. والنص واضح لجهة الاعتراف بالواقع والحفاظ على معنى الزواج بين امرأة ورجل، من دون أن يعمد إلى الترويج للحالة المثلية وتشريعها، بل القبول بها ضمن إطار الكنيسة.

ثالثاً، هدف الإعلان المحافظة على أبناء الكنيسة في كنيستهم، أي طمأنة الجميع، وهو ما أكده البابا في لقاء الشبيبة الأخير في البرتغال، بأن الله «محبة للجميع من دون استثناء». وقد صدر النص، في ضوء مراجعات طويلة ونقاشات، مع أبناء الكنيسة المثليين الذين لا يريدون الانفكاك عنها ويصرّون على الحفاظ على تعاليمها والالتزام بأسرارها، ولم يصدر عشوائياً بمعنى تخطّي عامل الانتماء إلى الكنيسة من أجل تكريس حالة اجتماعية بالمطلق. والاحتفال بالبركة يعني حصراً أنّ الكاهن يطلب البركة من الربّ للثنائي ليعيشا حياة أفضل، ولا يطيحهما بركته كسرّ من أسرار الكنيسة.

من الأكيد أنّ الكنيسة، والكنائس عموماً، ستكون من الآن وصاعداً مسؤولةً أمام مجتمعها المتنوّع عن تقديم إجابات واضحة عن الإعلان الفاتيكاني وكيفية التعامل معه. والأمر نفسه سيكون مطلوباً في تعامل الطوائف الأخرى التي، لها رأي مخالف جذرياً لموقف الفاتيكان، فلا تُضاف مشكلة جديدة إلى التباينات الطائفية والمذهبية في لبنان.

(أ ف ب)

تقرير

10 إصابات مؤكّدة بالجرب في «الحريري» وأكثر من 200 مخالط

راجانا حميّة

حق الردّ

ردّاً على ما نشرته «الأخبار» بعنوان «إهمال وظيفي وسوء إدارة وفساد: الجرب يضرب مستشفى الحريري» (22 كانون الأول 2023)، يهمّ إدارة مستشفى رفيق الحريري الجامعي نفي ما تم تداوله عبر وسائل الإعلام والتواصل الاجتماعي عن انتشار مرض الجرب في المستشفى وأن عدد المصابين والمشتبه في إصابتهم ممّن احتكّوا بهم وصل إلى أكثر من 200، وتؤكد أن أنباء تفشي مرض الجرب بعيدة من الصحة، وأن الحالات التي تم تشخيصها لا تتدرج ضمن تفشّي المرض، وأن علاجها متوافر ولا يستدعي القلق.

وبناءً عليه، توضح الإدارة تفاصيل ما حصل:

- استقبل المستشفى منذ حوالي 15 يوماً مريضاً تبيّن أنه مصاب بداء الجرب، وخضع للفحوصات اللازمة والإجراءات المتبعة لجهة الحجر وتلقى العلاج اللازم. ونجم عن ذلك انتقال محدود للعدوى في المستشفى. وبعد التنسيق والتعاون مع وزارة الصحة العامة، تمت السيطرة عليه في حينها.

وتحسّباً لأيّ خطر من انتشار المرض، وحفاظاً على صحة المرضى وصحة العاملين في المستشفى، تابع المستشفى عبر الدوائر الطبية المعنية، وبالتعاون مع وزارة الصحة، الحالات المحتمل إصابتها بأمراض معدية، والمستشفى صاحب خبرة طويلة بهذا الشأن، والجميع يشهد على كفاءة الكوادر العاملة فيه وكيفية استعدادها لمواجهة أخطر الأوبئة، مثل ما حصل أثناء جائحة الكورونا.

وفي السياق نفسه، تشدد الإدارة على أن كل العاملين لديها في مختلف الأقسام ملتزمون بإجراءات الحماية والوقاية، وبخاصة أثناء التعاطي مع المرضى، كارتداء الكمامات والقفازات وغسل اليدين المتكرر.

وأخيراً، تناشد إدارة المستشفى الوسائل الإعلامية عدم تداول أو نشر معلومات مغلوطة ولا أساس لها من الصحة، من دون الرجوع إلى القنوات الرسمية التابعة للمستشفى أو ما لم يكن لها أساس من مصدر رسمي، حيث إن هذه المعلومات تثير الهلع والخوف لدى المجتمع.

العزل ومن ثم إلى غرفة عادية بعد التعافي، واستغرقت المدة التي قضتها في المستشفى نحو 20 يوماً. وحدثت الإصابة الثانية «بعدما تم نقل أحد المرضى إلى الغرفة التي كانت فيها المريضة ووضع في سريرها حيث التقط العدوى؛ والتقط العدوى أيضاً 3 عاملين ممن اعتنوا به، ورابع ممّن ينقلون المرضى (...) وبعدها التقط 4 عاملين العدوى من زملائهم». وبحسب المعلومات، سجلت «الحالات الأربع المؤكدة أواخر الأسبوع الماضي»، وكانت الإصابات «بين قسمي الطوارئ والطب الداخلي» وتأكيداً لما نشرته «الأخبار»، تسلّمت إدارة مستشفى رفيق الحريري الجامعي من مستودع الأدوية المركزي في الكرنتينا. عبر دائرة مراكز الرعاية الصحية الأولية - وفق تقرير داخلي - «1000 حبة من عقار ivermectin بناءً على توصية طبية كتدخل وقائي وعلاجي (كل مريض يحتاج إلى ما بين 4 وحتى حبّات يومياً وهي تحتسب على أساس الوزن)، إضافة إلى عدد من المحاليل lotion (عدد 10) ليستخدمها الذين تأكدت إصابتهم». ورغم أن «لا تأكيدات إلا أن الفساد وسوء الإدارة لم يبق لهم ما يمكن أن يخدمهم في هذا السياق، إذ يشكو معظم العاملين من إعطائهم المستلزمات «بالقطارة». ويذكر أحد العاملين أنه يتم تزويدهم بالقفازات الطبية «بالعلبة والعلبتين»، وأن كمية القفازات الموجودة في المستشفى «يُمنع التصرف بها لأنها للحرب»، ما دفع بإحدى مديريات وزارة الصحة العامة إلى إرسال كميات من هذا المستلزم للعاملين هناك «مع الطلب إليهم الالتزام بفسل اليدين والتعقيم كلما أمكن ذلك».

> تسلّمت إدارة المستشفى من الكرنتينا أدوية ومحاليل كافية لأكثر من 200 شخص

ويجدر تذكير إدارة المستشفى بأن «الأخبار» ليست وحدها من يعرف بما جرى خلال الأسبوعين الأخيرين، إذ إن التفتيش المركزي تواصل هو الآخر مع الإدارة أكثر من مرة في شأن هذا الموضوع.

وأخيراً، لا يجب أن يصرف هذا التصريح النظر عن الموضوع الأساسي والمتعلق بالإهمال الوظيفي والفساد وسوء الإدارة الذي تعانيه المستشفى منذ سنوات، والذي يستفيد منه بعض الموظفين المنتفعين، فيما يطاول الغبن الغالبية العظمى من العاملين اليوم بشبه أجر.

تقرير

الملحقون الاقتصاديّون باقون... ولكن

عاد ملف الملحقين الاقتصاديّين في البعثات الدبلوماسية إلى الواجهة مع تراجع وزارة الخارجية عن قرار الاستغناء عن خدماتهم. وكما كان قرار إنهاء عقودهم اعتباطياً، أتى قرار الإبقاء على خدماتهم عشوائياً. بما أفرغ القرار من مضمونه

(هيثم الموسوي)

ندى أيوب

في آب الماضي، تبلّغ 14 ملحقاً اقتصادياً (من أصل 20) عيّنتهم وزارة الخارجية عام 2020 بقرار إنهاء عقودهم نهاية هذه السنة. القرار الذي أملته الأزمة الاقتصادية وصفته مصادر دبلوماسية حينها بـ«غير الصائب»، وعارضته وزارات معنيّة بالتصدير كالزراعة والصناعة والتجارة والاقتصاد، إلى جانب الهيئات الاقتصادية وجمعية الصنّاعيّين، نظراً إلى المساهمة التي يمكن أن يقدّمها هؤلاء في عقد اتفاقيات وتنظيم معارض للمنتجات اللبنانية وتقديم المشورة لرجال الأعمال والمساهمة في تسوية أيّ نزاعات بين لبنان والدول التي عُيّنوا فيها.

أمام الاعتراضات، ارتأت الوزارة السير بتسوية تقضي بتجديد عقود الملحقين لمدة سنة، وفقاً لشرطين: خفض الرواتب والتخلّي عن الملحقين في الدول التي لا فائدة من وجودهم فيها. غير أنّ التسوية طُبّقت عشوائياً واستُغلّت لإجراء مناقلات بين الملحقين لأسباب غير معلومة. فعلى سبيل المثال، نُقل الملحق رالف نعمة من بريطانيا إلى الإمارات مكان الملحق كلود خوري الذي نُقل إلى كندا. والسؤال هو: طالما أنّ الإمارات صُنّفت من بين الدول التي يفترض أن يكون للبنان ملحق اقتصادي فيها، لماذا تمّ استبدال الملحق المعتمد هناك منذ سنوات باخر يحتاج إلى خمس سنوات (هي مدة العقد) لفهم السوق ونسج شبكة العلاقات التي يحتاج إليها لأداء دوره؟

الأمر نفسه ينطبق على الملحق الاقتصادي في ألمانيا عبده مدلج الذي نُقل إلى نيجيريا، وحلّت مكانه الملحق رنا رزق المعتمدة في ساحل العاج. فيما نُقل إلى ساحل العاج الملحق الاقتصادي المعتمد في اليابان. وتتكرّر الأمر في السعودية التي سيغادرها الملحق علي أبو علي إلى الأردن ليحلّ مكانه شادي أبو ضهر آتياً من قطر والكويت.

بموجب التبديلات، تخلّت «الخارجية» عن الملحقين في كل من بريطانيا وقطر وروسيا والكويت واليابان. وفيما تجمع الآراء على أنّ اليابان ليست ذات أهمية للبنان على الصعيد الاقتصادي، تليها الكويت نظراً إلى مواجهة التصدير اللبناني إليها صعوبات كبيرة، إلّا أنّ من المستغرب سحب الملحق من قطر المهتمّة بالشأن اللبناني، والتي تشهد العلاقات معها نوعاً من الانفتاح والهدوء بخلاف الوضع مع بقية دول الخليج. كما كان مستغرباً إلغاء منصب الملحق الاقتصادي في روسيا (كان يتولّاه وسام سوبرة الذي تقرّر نقله إلى الصين) وإسقاط روسيا من قائمة الدول المفترض توطيد العلاقات التجارية معها، ولا سيّما أنّها تضم جالية لبنانية كبيرة، وترتبطها بلبنان علاقات جيدة.

وفي أوروبا الغربية، تخلّت «الخارجية» عن ملحقها في لندن الخارجة من الاتحاد الأوروبي، فيما أبقت على ثلاثة ملحقين في ثلاث دول منضوية في الاتحاد ومتجاورة جغرافياً، هي: فرنسا وألمانيا وبلجيكا، في حين كان يمكن الإبقاء على ملحق واحد أو اثنين للدول الثلاث، والإبقاء على ملحق في لندن. وفي المحصّلة حافظ الملحقون في واشنطن وباريس وبروكسل والقاهرة وبغداد والبرازيل على مراكزهم.

> تخلّت «الخارجية» عن الملحق في لندن الخارجة من الاتحاد الأوروبي وأبقت على ثلاثة ملحقين في ثلاث دول منضوية في الاتحاد ومتجاورة جغرافياً

رواتب جديدة وحسومات

وبموجب قرارات وزارة الخارجية، فسوف ينخفض المعدّل الوسطي لرواتب الملحقين بموجب عقود جديدة ستُوقّع خلال أيام، بنسبة 30%، فيتراجع الراتب من 10 - 12 ألف دولار إلى 7 - 8 آلاف دولار. ويُتوقّع أن يرفض عدد من الملحقين تجديد العقد، خصوصاً أنه يترافق مع عدم تغطية الوزارة لكلفة انتقال الملحقين (وهم من الفئة الثالثة) من بلدٍ إلى آخر، على غرار ما ينطبق على دبلوماسيّي الفئة الثالثة، وتحميلهم مسؤولية خطأ مالي ارتكبته الوزارة، إذ بدأت وزارة المالية من شباط الماضي احتساب بدلات السكن والتعويضات العائلية للملحقين على سعر صرف 15000 ليرة، أما أصل الراتب، فيُحتسب على سعر «صيرفة»، في حين أنّ الخارجية سدّدت للملحقين رواتبهم وضمناً بدلات السكن والبدلات العائلية على سعر «صيرفة».

ومع استدراك الوزارة للأمر، قرّرت بعد طلب رأي مجلس الخدمة المدنية، أن تحسم الفروقات المالية، والتي تصل في بعض الحالات إلى 20 ألف دولار، بمفعول رجعي من رواتب الأشهر الأربعة الأخيرة من العام، (من شهر 9 إلى شهر 12) وهي رواتب متراكمة في ذمّة الوزارة. لذلك، يرى البعض أن ما يحصل، يهدف إلى «تطفيش» المعنيين، لأنهم يعتقدون أن بمقدور الوزارة إيجاد صيغة أكثر عدالة، للحفاظ على هذا النوع من الكوادر.

تقرير

«مينا فاتف»: المطلوب من لبنان مكافحة حزب الله واقتصاد الكاش

أصدرت منظمة «مينا فاتف» المعنية بمكافحة تبييض الأموال ومعايير مكافحة تمويل الإرهاب، تقريراً عن تقدّم لبنان في هذا المجال. وهذا التقرير يعتبر تمهيدياً للقرار الذي سيُتّخذ في الربيع المقبل بشأن وضع لبنان على اللائحة الرمادية. باختصار، يقول التقرير إنّ لبنان بفي ببعض المتطلبات، ولكن ينقصه الكثير من التقدّم، ولا سيما في مجال الامتثال المتعلّق باقتصاد الكاش، وبمتابعة المنظّمات الحزبية العسكرية الكبرى (المقصود فيها حزب الله)، وببعض الدوائر الحكومية.

أتى هذا التقرير بعد زيارة ميدانية أجراها فريق من المنظمة بين 18 الشرعية».

يضع التقرير ضغوطاً على القوى الأمنية التي يحاول أن يدفعها لتصنيف حزب الله، مشيراً إلى أنه بالنسبة إلى المؤسّسات التي تنفّذ القانون، أي مديرية المخابرات العامة في الجيش اللبناني وشعبة المعلومات في المديرية العامة لقوى الأمن الداخلي والمديرية العامة لأمن الدولة، فهي «تتابع أنشطةً مختلفة لتمويل الإرهاب، بما في ذلك جمع الأموال (من مصدر مشروع أو غير مشروع)، وحركتها وانتقالها عبر القطاع الرسمي أو غير الرسمي أو عبر الحدود، وسعيها إلى التمويل الذاتي والتمويل المستقلّ، وتمويل الجماعات الإرهابية التي تنشط بشكل أساسي على المستوى المحلي، بالإضافة إلى تمويل سفر المقاتلين إلى مناطق النزاع»... ولكن كل هذه الجهود «لم تشمل إجراء تحقيقات بشأن التهديدات المحتملة التي تشكّلها أنشطة منظمة شبه عسكرية محلية كبرى».

يحاول التقرير القول إنّ لبنان ملتزم بالتصنيفات الدولية للأشخاص والشركات المدرجين على لوائح العقوبات، بل تبيّن أن لبنان متعاون جداً في هذا المجال، لأنه «على مدى السنوات الخمس الماضية، قدّم لبنان اقتراحاً بإدراج عدّة أشخاص، من طرف واحد، إلى لجنة العقوبات.

> تتحرّش المنظمة بكتّاب العدل وتقول إن لديهم فهماً محدوداً لمخاطر غسل الأموال المتعلّقة بأعمالهم

كما قام مع دول أجنبية بإدراج مجموعة من الأشخاص والكيانات، وقدم معلومات مفصّلة عن بعض المدرجين»، ولكن رغم ذلك يبدو أنّ المؤسسات المالية، باستثناء المصارف، لا تتابع تحديثات لوائح مجلس الأمن «وهو ما قد يؤثّر على تنفيذ التزامات تجميد الأصول من دون تأخير». كذلك يقول إنّ معظم المؤسّسات المالية والأعمال والمهن غير المالية تدرك جيداً متطلّبات مراقبة التحديثات التي يتم إجراؤها على القائمة المحلية وتجميدها وإبلاغها إلى هيئة التحقيق الخاصة. ومع ذلك، هناك بعض الثغرات في التنفيذ العملي

(هيثم الموسوي)

تموز و3 آب 2022، وهو يعترف بأن لبنان لديه تقييماً محدّثاً للمخاطر في مجال تبييض الأموال وتمويل الإرهاب، وعلى أساسه يتم تصنيف الجرائم الأكثر خطورة، والقطاعات المالية وغير المالية الأكثر عرضة لخطر غسل الأموال وتمويل الإرهاب، ولكن المشكلة تكمن في أنه «تم العثور على مستوى أقلّ من فهم مخاطر غسل الأموال وتمويل الإرهاب الناشئة في القطاع المالي غير المنظّم، وفي أنشطة منظّمة شبه عسكرية محلية كبرى، بالإضافة إلى تلك الناشئة عن الفساد الحكومي على مستوى رفيع في البلاد». وبشكل عام، فإنّ تحقيقات السلطات اللبنانية بشأن تبييض الأموال «إلى حدّ ما لا تتناسب مع المخاطر والتهديدات»، وهذا ينطبق أيضاً على «الملاحقات القضائية... ولا سيّما في ما خصّ التهريب الجمركي، التهرّب الضريبي، جرائم تجارة البشر وتجارة المخدرات غير لهذه المتطلبات».

وينوّه التقرير بما يقوم به لبنان لجهة متابعة تطبيق العقوبات المالية بشأن كوريا الشمالية وإيران بشكل يومي ومباشر، وأنّ المصارف وشركات تحويل الأموال وشركات الصرافة من النوع «أ» تحرص على متابعة التحديثات في الوقت المناسب واستخدام الأنظمة الإلكترونية «إلّا أنّ الأعمال والمهن غير المالية المحددة ليست على علم بالتزاماتها في هذا الصدد». ويشير إلى أنّ «لدى كتّاب العدل فهماً محدوداً لمخاطر غسل الأموال المتعلّقة بأعمالهم». ويطلب من لبنان اتّخاذ إجراءات إضافية تتعلّق بالترخيص والتسجيل، ولا سيما في مجال تحديد المالك المستفيد في المؤسّسات المالية لتحديد الكيانات التي تمارس سيطرةً غير مباشرة، بالإضافة إلى تدابير دورية للتحقّق من استمرار سلامة السجلّات الجنائية، وتدابير لمنع شركاء المجرمين من الحصول على الاعتماد المهني لممارسة الأنشطة غير المالية. وينتقد التقرير «معوّقات تتعلّق بالسرية المهنية التي تمنع نقابة المحامين، وهي الجهة المشرفة على قطاع المحامين، من الوصول إلى أيّ معلومات للتحقّق من التزام المحامين بالتزامات مكافحة غسل الأموال وتمويل الإرهاب»، إذ تبيّن له أنّه «تم تطبيق عقوبات مالية وإدارية على المصارف والمؤسسات المالية، من دون اتّخاذ أيّ إجراءات تأديبيّة ضدها».

في النهاية يقول التقرير إنّ متطلبات مكافحة غسل الأموال ومكافحة تمويل الإرهاب لا تتوافق مع ملف المخاطر الخاص بالبلد. فضلاً عن «التأخير في إرسال طلبات المساعدة القانونية المتبادلة، ونقص في تقديم طلبات استرداد الأصول المسروقة، إذ لا تبذل جهود إضافية لتذليل معوّقات تنفيذ هذه الطلبات. بل يقوم لبنان بالتعاون غير الرسمي مع نظرائه بطريقة متفاوتة، وهو تعاون لا يُعدّ متّسقاً مع ملف المخاطر».

(الأخبار)

تقرير

البنك الدولي: أموال المغتربين شريان لبنان

«لبنان الآن في قعر مؤقّت»، يقول البنك الدولي في نشرة المرصد التي صدرت أمس، لكنّه يضيف أن لبنان يقع في مهبّ أزمة جديدة تتعلّق بما سمّاه «الصراع في الشرق الأوسط». وقد بلغنا هذا القعر المؤقّت بعد سنوات من الانكماش الحادّ وتضخّم في الأسعار، ولا سيما أسعار الغذاء، ما جعله قعراً هي تلك الأموال التي تدفقت من المغتربين وعبر النشاط السياحي، إلّا أنها أدّت في الوقت نفسه إلى «عجز واسع في الحساب الجاري المدفوع في المقام الأول بزيادة الواردات»، أي أن التشوّه البنيوي في الاقتصاد عاد ليظهر مجدداً على وقع اعتماد لبنان على التدفقات الخارجية لتمويل الاستهلاك المحلي، ولذا فإنّ توقعات البنك الدولي هي أن «تتسارع وتيرة التضخّم لتبلغ معدلات قياسية مقدرة بنحو 231% في نهاية السنة الجارية. وفوق ذلك كلّه، فإن تجدّد الصراع العسكري في الشرق الأوسط في ظل عدم تبنّي لبنان خطّة شاملة لحلّ الأزمة سيدفع إلى مزيد من التآكل في رصيد رأس المال المادي والبشري والاجتماعي.

بهذه الخلاصة، يظهر أن نشرات المرصد التي يصدرها البنك الدولي عن لبنان، عادت إلى الكلاسيكية في قراءة تطوّرات لبنان بعدما قيل كل ما يمكن أن يقال عن الأزمة. الآن، يسود توصيف المشهد ومراقبة المؤشرات التي تقود نحو نتيجة واحدة: المزيد من الهجرة، واعتماد أكبر على تحويلات المهاجرين. وقد خصّصت نشرة المرصد قراءةً خاصّة عن تحويلات المغتربين تشير فيها إلى أن لبنان شهد موجات متعدّدة من الهجرة، سببها: انعدام الاستقرار السياسي، فتنة داخلية، اضطرابات مدنية وصراع إقليمي. اتّسمت هذه الموجات بـ«هجرة الأدمغة» القائمة على هجرة المتعلمين حتى «بات اقتصاد لبنان يعتمد كثيراً على تحويلات المغتربين. وقد كانت هذه التحويلات أساسيةً لتمويل العجز البنيوي والمستمرّ في حسابه الجاري. في الواقع، إن التحويلات تجاوزت صادرات لبنان منذ عام 2002». أيضاً، كانت هذه التحويلات بمنزلة شبكة أمان اجتماعية في ظل غياب شبكة ملائمة، ودعمت استهلاك الأسر ومستويات معيشتهم. الدخل الإجمالي المتاح كان يتخطّى طوال المدّة ما بين 2004 و2020، الناتج المحلي الإجمالي. «منذ انفجار الأزمة في 2019، أثبتت هذه التحويلات أنها شريان الحياة للبنان في ما خصّ حاجاته الأساسية». لولا هذه التحويلات، لما كان سهلاً على قسم كبير من السكان الحصول على الرعاية الصحية والتعليم، وقد أدّت هذه التحويلات دوراً حيوياً في ردم خسائر القدرة الشرائية للغالبية.

وبحسب البنك الدولي، فإن معدل تحويلات المغتربين بين 2009 و2018 بلغ 6450 مليون دولار، أو ما يعادل 14,2% من الناتج المحلي الإجمالي. وبلغ معدّلها في المدّة ما بين 2019 و2022 نحو 22,3% من الناتج أو ما قيمته 6346 مليون دولار. وفي عام 2022 وحده، استقبل لبنان تحويلات تعادل 29,9% من ناتجه المحلي، ما يجعله ثالث أكبر متلقٍّ للتحويلات عالمياً كنسبة من الناتج. التحويلات من السعودية هي الأكبر، إذ بلغت 1,1 مليار دولار في 2021، تليها بقيمة مليار دولار من مغتربي أميركا، وبقيمة 600 مليون دولار من أستراليا وبحجم مماثل من كندا، وبقيمة 590 مليون دولار من ألمانيا.

بالنسبة إلى المخاطر المحدقة باقتصاد لبنان، فإن البنك الدولي يشير بوضوح إلى أنه في ظل غياب تمويل مالي عبر السياسة النقدية، وهو ما يعبّر عن السياسة الجديدة التي اتّبعها حاكم مصرف لبنان بالإنابة وسيم منصوري عند تولّيه مهماته الحاكمية بالقول إنه لن يموّل الدولة، لن يكون أمام السلطات المالية إلّا تحريك الإيرادات (الضرائب) وهو ما قد يؤدي إلى خفض الدخل المتاح (الدخل المحلي مضافاً إليه قيمة التحويلات). وإذا أخذ في الحسبان أنّ لبنان يعتمد كثيراً على الاستهلاك المستورد، فإن النقص في تمويل عجز الحساب الجاري سيقود ضغوطاً على الاستيراد وسيخفض الاستهلاك الخاص، بينما الإنتاج المحلي ضعيف جداً. وبالتالي، فإن ما كان متوقعاً من نموّ لهذه السنة بمعدل 0,2%، سينقلب سريعاً إلى حالة ركود.

(الأخبار)

أخبار

ميقاتي يعد ولا يفي

نُقل عن رجل الأعمال بهاء رفيق الحريري أنّ رئيس الحكومة نجيب ميقاتي والنائب أحمد الخير تدخّلا لدى وزير الصحّة فراس أبيض لعدم قبول تبرع بقيمة 470 ألف دولار قدّمه الحريري عبر «مؤسسة حسناء وبهاء» (نسبةً إلى زوجته حسناء أبو سبعة) لإنشاء قسم لغسيل الكلى في المستشفى الحكومي في المنية. وقالت المصادر نفسها إنّ ميقاتي وعد أبيض بتغطية نفقات إنشاء هذا القسم من ماله الخاصّ، إلّا أنّه لم يفعل رغم مرور أشهر على وعده.

جعجع يحتجّ لدى دار الفتوى

أوصل رئيس حزب القوّات اللبنانية، سمير جعجع، عبر وسطاء، رسالة احتجاج شديدة اللهجة إلى مفتي الجمهورية الشيخ عبد اللطيف دريان، بسبب مواقف المفتش العام المساعد لدار الفتوى الشيخ حسن مرعب المعادية للقوّات، سائلاً عمّا إذا كان المفتي يتبنّى هذه المواقف.

أئمة المساجد مستاؤون من البخاري

زار ممثلون عن أئمة مساجد بيروت وموظفون في إذاعة «القرآن الكريم» التابعة لدار الفتوى السفارة السعوديّة، الأسبوع الماضي، والتقوا السفير وليد البخاري في حضور الملحق العسكري فواز بن مساعد المطيري. وشكا المشايخ للبخاري سوء أوضاعهم المعيشيّة وتقاضيهم رواتب لا تصل إلى مليون ونصف المليون ليرة، إضافة إلى تدهور أوضاع الإذاعة. وسأل حاضرون عن عدم دعم المشايخ في وقت يتلقّى حزبا الكتائب والقوات اللبنانية تمويلاً من المملكة، وشكوا من رفض مفتي الجمهوريّة الشيخ عبد اللطيف دريان إيصال مطالبهم إلى السفارة. وخرج الزوار من اللقاء مستائين بسبب ردّ فعل البخاري الذي لم يبدِ أيّ تعاطف، ولم يعدهم بمتابعة أوضاعهم أو تحديد موعدٍ جديد لمعرفة التطوّرات، واكتفى بوداعهم من دون كلام.

لا باسبورات ديبلوماسية وخاصة

منذ أكثر من ثلاثة أشهر، توقف مكتب الأمن العام في وزارة الخارجية عن إصدار جوازات السفر الديبلوماسية والجوازات الخاصة بسبب تعطل الجهاز المخصص لاصدار الجوازات، ما حال دون سفر الديبلوماسيين المعينين حديثاً أو الذين انتهت صلاحية جوازاتهم. كحال ديبلوماسية لم تلتحق بعد بمركز عملها في المكسيك، في إطار المناقلات الديبلوماسية الأخيرة.

وإلى جانب الديبلوماسيين، تأثر حاملو الجوازات الخاصة من الرؤساء والنواب والوزراء والقضاة والمدراء العامين وكبار موظفي الدولة السابقين والحاليين وعائلاتهم.

تحريض على الطاعنين في التمديد لدريان

فشلت العريضة التي عمل المستشار في المحكمة السنية الشرعية في بيروت القاضي، عبد الرحمن الحلو، على صياغتها من أجل التحريض على المشايخ الخمسة (بينهم قاضيان شرعيان) الذين تقدّموا بمراجعة طعن في قرار المجلس الشرعي الإسلامي الأعلى بالتمديد لمفتي الجمهورية الشيخ عبد اللطيف دريان ومفتي المناطق أمام مجلس شورى الدولة. فقد رفض معظم القضاة الشرعيين التوقيع على عريضة تتضمّن ما أسموه «تجريحاً شخصياً» بحق زميليهما، القاضيين همام الشعار وعبد العزيز الشافعي. فيما كان مستغرباً توقيع رئيس المحكمة الشرعية السنية العليا القاضي محمد عساف والمستشار في المحكمة القاضي غالب الأيوبي على العريضة التي اتّهمت مقدمي مراجعة الطعن بأن هدفهم «هزّ المؤسسة الدينية».

«نصائح» عربية بإقالة أمين الفتوى

يتردّد في أوساط دار الفتوى أنّ أحد المشايخ المقرّبين من مفتي الجمهوريّة الشيخ عبد اللطيف دريان نصح أمين الفتوى الشيخ أمين الكردي بتقديم استقالته من منصبه من أجل «لمّ الطائفة» لأن بقاءه في منصبه «يثير الخلافات». يأتي ذلك مع انتشار أخبار بأنّ المفتي يدرس مناقلات وتعيينات في المؤسسة الدينيّة، ظاهرها إدخال «دم جديد» إلى الدار وإحداث تغييرات فيها، وباطنها «تطيير» الكردي من منصبه لئلّا يتولّى مقام مفتي الجمهورية في حال تعرّض الأخير لأي عارض صحّي، علماً أنّ «نصائح» أتت من جهات عربية بعزل الكردي لميله إلى جماعة «الإخوان المسلمين»، وهو ما نفاه في أكثر من مناسبة. وإلى الكردي، يتوقّع في حال المضي في التغييرات، عزل إمام وخطيب «مسجد الأمير عساف» الشيخ ماهر جارودي بعدما جرى أخيراً تداول تسجيل له ينتقد فيه دريان والمدير العام للأوقاف الإسلامية الشيخ محمد أنيس الأروادي.

قضية

إنكلترا ترفض «البطولة الانفصالية»
«سوبر ليغ» تضرّ بمصلحة «بريميرليغ»

في وقتٍ تسود الضبابية حول مستقبل كرة القدم الأوروبية، وبينما تتأهب غالبية الدوريات لعطلة الأعياد، تستأنف إنكلترا نشاطاتها الكروية ضمن العرف السنوي المسمّى «boxing day»، مع تأكيدها رفض أيّ فكرة لإنشاء بطولة رديفة. الرفض الإنكليزي ينبّئ باستمرار تفوّق «بريميرليغ» على باقي الدوريات، كما أنه قد يضع المسمار الأخير في نعش «سوبر ليغ»

تمتلك جماهير إنكلترا وأنديتها فلسفة خاصة بها (WEB)

حسين فحص

قُلب الوسط الكروي رأساً على عقب صباح الخميس الماضي، بعد أن قضت محكمة العدل الأوروبية بعدم قانونية الإجراءات التي اتخذها الاتحاد الأوروبي لكرة القدم (يويفا)، ومن خلفه الاتحاد الدولي (فيفا)، بهدف عرقلة إنشاء بطولة «سوبر ليغ». عاصفة فوضوية لم تشغل الجماهير الإنكليزية كثيراً على عكس باقي أوروبا. هذه الجماهير تنتظر لقاء المتصدّر أرسنال والوصيف ليفربول في قمة الجولة الثامنة عشر، عندما يحل «الغانرز» ضيفاً على «الريدز» اليوم، (19:30 بتوقيت بيروت).

الهدوء الإنكليزي ليس حديثاً، بل ينبع من وقائع تجعله على رأس المعارضين لإنشاء «بطولة انفصالية». سبق وأن وافقت الأندية الستة الكبار «التقليدية» في إنكلترا، غافلة، على مشروع «سوبر ليغ» في أول اقتراح لإنشائه عام 2021. لكن، ومع ضغط الهيئات الأوروبية والحكومة البريطانية كما الجماهير الإنكليزية، تراجعت الأندية الكبرى وهي مانشستر يونايتد وأرسنال وتشيلسي وتوتنهام ومانشستر سيتي وليفربول، عن قرارها في غضون 48 ساعة، قبل أن تجدّد غالبيتها تعهّد الالتزام في المسابقات المتعارف عليها بالتزامن مع الأحداث الحاصلة أخيراً. من جهته، رفض الدوري الإنكليزي الممتاز فكرة «سوبر ليغ» ومفهومه رغم صدور حكم محكمة العدل الأوروبية صباح الخميس، حيث أوضحت رابطة الدوري أن: «للجماهير أهمية حيوية في اللعبة، وقد أكدوا مراراً وتكراراً معارضتهم للمنافسة المنفصلة التي تقطع الصلة بين كرة القدم المحلية والأوروبية».

بعيداً عن «رومانسيات» اللعبة الشعبية، ينبع قرار الدوري الإنكليزي، بالدرجة الأولى، من رغبة استمرار تفوقه على المنافسين. أندية البريميرليغ لا تحتاج إلى بطولة مستقلة كي تحصّل عائدات ضخمة، إذ إنها الأكثر دخلاً بين مختلف الدوريات الأوروبية لكرة القدم استناداً إلى قوّة حقوق الدوري التلفزيونية منذ بداية التسعينيات. متانة مالية أعطت أندية إنكلترا أفضلية على سائر الفرق خارج البلاد، مساعدة إياها في بلوغ الأدوار المتقدمة من المسابقات الأوروبية (دوري الأبطال ويوربا ليغ) كما في تجاوز تداعيات أزمة كورونا على الأوروبي (بريكسيت) وصولاً إلى الأحداث الكروية الحاصلة أخيراً. وبحسب الوسط الرياضي الإنكليزي، لن تتمكن أندية «بريميرليغ» من الانضمام إلى السوبر الأوروبي إلّا إذا كانت تنوي ترك كرة القدم الإنكليزية، بخاصة أن الحكومة البريطانية، وعلى خلاف الحكومات الأخرى، تسعى إلى إقرار قانون في العام الجديد لمنع الفرق الإنكليزية من المشاركة في أي مسابقة منفصلة.

> تسعى الحكومة البريطانية إلى منع الفرق الإنكليزية قانونياً من المشاركة في مسابقة يرفضها الاتحاد الأوروبي

في هذا الإطار، قال الرئيس السابق للجنة الثقافة والإعلام والرياضة الإنكليزية، داميان كولينز: «إن حكم المحكمة الأوروبية بشأن الدوري الأوروبي الممتاز يوضح سبب حاجتنا إلى منظم كرة القدم المقترح لإنكلترا». ثم تابع: «بريد ريال مدريد وبرشلونة تغيير كرة القدم لكسب المزيد من المال. نحن بحاجة إلى حماية نزاهة المسابقات وهيكل الدوريات الوطنية». تصريح اعتبره البعض بمنزلة الرد الضمني على إمكانية تشكيل «سوبر ليغ» تذكرة ذهبية للأندية المؤسّسة في محاولة تجديد المنافسة مع الدوري الإنكليزي. لا تزال فكرة سوبر ليغ طافية على السطح، رغم الرفض الصارم من غالبية الجهات الكروية، على رأسها «بريميرليغ»، سواء تم إنشاء البطولة أو لا، يبقى المال هو الهدف الأهم» وراء مختلف القيّمين، المال لا غيره. تكمن المفارقة بمدى جشع الجهات المشرفة على المسابقات، ومدى تأثير هذا الجشع على مسار الأندية واستقرارها مستقبلاً.

الكرة اللبنانية

تطبيق الـ VAR في الدوري: العمل يسير بوتيرة عالية

(الأخبار)

عبد القادر سعد

بدأ المحاضر المصري تامر درّي المنتدب من الاتحاد الدولي لكرة القدم عمله أمس بتدريب 25 حكماً لبنانيّين (ذكوراً وإناثاً) ضمن المرحلة الثانية من بروتوكول تطبيق نظام فيديو الحكم المساعد (VAR).

شهد اليوم الأول في فندق «رامادا» على مدى تسع ساعات، محاضرات نظرية وتطبيقات عملية على كيفية التعامل مع نظام الـ(VAR). وستمتد الدورة على مدى عشرة أيام، حيث ينتهي العمل في اليوم الأخير من العام الحالي، ويكون الحكّام اللبنانيون قد أنجزوا جزءاً كبيراً من المرحلة الثانية من البروتوكول التي هي عبارة عن تالف مع أجهزة «Familiarization» (VAR) ومحاكاة «Simulation» على أن يكون هناك دورة أخيرة مطلع شباط 2024 لإتمام هذه المرحلة والدخول في تطبيق المرحلة الثالثة والأخيرة مباشرة. ويبذل الاتحاد اللبناني قصارى جهده لإنجاز المراحل المطلوبة كي يتم تطبيق نظام (VAR) في إحدى المراحل السادسة من الدوري اللبناني لكرة القدم والتي على الأرجح ستكون السادسة الثانية.

فالقيّمون على الاتحاد قاموا باستيراد الأجهزة بعون من شركة Talent Sports، وهي الشركة المشغّلة للأجهزة وجرى وضعها في فندق رامادا للاستفادة من عامل الوقت وإنجاز المراحل المطلوبة حتى قبل جهوز غرف الـ(VAR) المتحركة والتي هي عبارة عن ثلاث غرف يتم تجهيزها في دبي على أعلى المواصفات، ومن المفترض أن تصل إلى لبنان بعد شهر تقريباً.

حينها يمكن إنجاز المرحلة الأخيرة والتي هي عبارة عن محاكاة الحكام لنظام الـ(VAR) داخل الملعب من خلال إقامة أربع حصص لكلّ حكم عبارة عن خمس دقائق لكل حصة، يكون خلالها لاعبون موجودون (فريقان كاملان) على أرض الملعب يفتعلون أخطاء في اللعب يقوم الحكم بمراجعتها.

ومن ثم ينتقل الحكام إلى المرحلة ما قبل الأخيرة، وهي عبارة عن مباريات مصغرة (أربع مباريات) مدة كل واحدة منها 20 دقيقة يتم اختبار الحكم وكيفية تطبيقه لنظام الـ(VAR) وطريقة تعاطيه مع الأجهزة.

أما المرحلة الأخيرة فهي عبارة عن مباريات كاملة يقوم فيها القيّمون بتطبيق نظام الـ(VAR) كاملاً، لكن ليس بشكل رسمي (Offline) حيث يكون وفد من الاتحاد الدولي حاضراً لتقييم عمل الـ(VAR) تمهيداً لمنح الرخصة للاتحاد اللبناني لتطبيق نظام فيديو الحكم المساعد في الدوري الحالي، وخصوصاً أن الاتحاد استبق الموضوع ووضع بند تطبيق الـ(VAR) في النظام الفني لبطولة الدرجة الأولى لموسم 2023-2024 كما تنصّ قوانين الفيفا.

لا شك أنها مهمة شاقة أمام القيّمين على اللعبة في الاتحاد اللبناني لتطبيق نظام الـ(VAR) في الدوري الحالي، في ظلّ الكمّ الكبير من العمل المطلوب والظروف الصعبة التي يمرّ بها لبنان، لكنّ هناك تصميم على تنفيذه، وتشير المعطيات، وخصوصاً بعد الاجتماعات التي عُقدت مع المحاضر المصري، إلى أن موسم 2023-2024 سيشهد تطبيق نظام (VAR) ما لم تطرأ ظروف قاهرة تمنع ذلك.

السلة اللبنانية

قمّة الرياضي والحكمة «فاكهة العيد»

حسين سقور

دخلت البلاد في مدّة الأعياد. الجميع في عطلة، إلّا الرياضة التي تبقى حاضرةً محلياً سواء من بوابة منتخب لبنان لكرة القدم الذي يواصل تحضيراته في طرابلس لنهائيات آسيا المقرّرة الشهر المقبل في قطر، أو من بوابة كرة السلة التي تنتظر «ديربي» بيروت بين الحكمة والرياضي مساء الأربعاء المقبل الساعة 21:45 (التوقيت قابل للتعديل).

الجميع يتحدّث عن هذين الاستحقاقين، ولكن نتيجة اقتراب موعد الـ«ديربي» يبقى الحديث الأساسي عنه، بخاصة أنّ بطولة لبنان لكرة السلة هذا الموسم تشهد الكثير من الإثارة.

الحكمة يقدم نفسه هذا الموسم منافساً جدياً على اللقب، وهو سينهي مرحلة الذهاب في الصدارة بغض النظر عن نتيجة لقائه مع الرياضي. فاز الفريق «الأخضر» بثماني مباريات من أصل ثمانية، وهو يضمّ تشكيلة قوية عمادها لاعبَين أجنبيّين على أعلى مستوى هما صانع الألعاب المميّز بيار جاكسون، إضافة إلى التونسي رضوان سليمان، ومن المقرر أن يتعاقد النادي مع لاعب ارتكاز جديد في المرحلة المقبلة بدلاً من آتير ماجوك. قوّة الأجانب لا تخفي تميّز المحليين في الحكمة فيبرز كريم عز الدين وعمر جمال الدين ورودريغ عقل وغيرهم... تشكيلة يقودها المدرّب جاد الحاج تقدم مستوى مميزاً أيضاً في دوري السوبر لغرب آسيا WASL، بعد فوز كبير على الأهلي الحلبي خارج الديار. الحكمة سيكون خصماً قوياً للرياضي بيروت صاحب المركز الثاني مع 6 انتصارات وخسارتين. «نادي المنارة» بدأ البطولة بشكل ضعيف، ولكنه استعاد عافيته نسبياً في الأيام الماضية، ففاز على بيروت قبرست كلوب في الدوري المحلي، وتصدّر مجموعته في بطولة WASL بعد فوزين كبيرين على الوحدة السوري والشرطة العراقي تواليا.

المباراة ستكون ثأرية للحكمة الذي خسر نصف النهائي الموسم الماضي امام الرياضي تحديدا

يعرف الرياضي جيداً كيف يفوز في المباريات الكبيرة، فهو تجاوز الحكمة الموسم الماضي في ثلاث لقاءات متتالية ضمن سلسلة نصف النهائي، رغم أنّ الفريق الأخضر كان يعيش حالة مميزة حينها، ولكن الرياضي هو الرياضي. النادي البيروتي يمتلك أبرز اللاعبين المحليّين، وفي مقدمتهم وائل عرقجي وعلي منصور وأمير سعود وكريم زينون، من دون نسيان إسماعيل أحمد صاحب الخبرة الكبيرة. تشكيلة يضاف إليها البوسني علم الدين كيكانوفيتش صاحب المستوى الثابت هذا الموسم، إضافة إلى ماني هاريس وساني سكاكيني، هي قادرة بلا شك على إسقاط الحكمة في أرضها، شرط أن يكون التركيز موجوداً، والأخطاء قليلة. قمّة ينتظرها عشاق كرة السلة اللبنانية والعربية بفارغ الصبر (بيعت جميع البطاقات قبل 15 يوماً من موعد المباراة)، حتى ولو أنّها في منتصف الموسم، ولكن الديربي يبقى له نكهة خاصة نظراً إلى المستوى الكبير الذي يقدّمه اللاعبون خلاله. والأكيد أنّ ثنائيات عديدة ستحضر الأربعاء، بين وائل عرقجي وبيار جاكسون، وإسماعيل أحمد ورضوان سليمان... الإثارة ستكون حاضرة.

استراحة

كلمات متقاطعة 4486

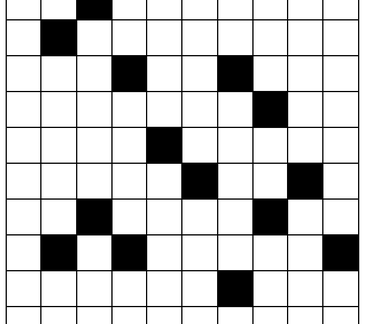

أفقيا

1- الإنهيار الثلجي – حرف عطف – 2- مؤسس الكشفية العالمية – 3- قرابة – من لا أخمص لقدمية – تحرّك واضطرب – 4- جُحر العقرب – مدينة في الجزائر – 5- يضرب موعداً – مدينة في مصر – 6- والد الأب أو الأم – من الحشرات – 7- قادم – أوقع النساء في الحب – خلاف غلط – 8- لعبة الطاولة – 9- غزال أبيض – جزيرة بريطانية – 10- صحابيّ من المسلمين الأوائل قتل في وقعة صفين

عمودياً

1- فيلسوف وطبيب عربي – إله مصري – 2- أقدم كهف فرنسي حضاري في العالم – وقت بالأجنبية – 3- تمشي على يديها ورجليها – إضطرم وتلهبّ – حرف جزم – 4- عملة آسيوية – من الحيوانات – 5- أرخبيل بريطاني – طائر الشوَم – 6- من الأرقام – منطقة غابات بين بلجيكا وفرنسا ولوكسمبورغ الفني لبطولة الدرجة الأولى لموسم – 7- خصب – يدهن – نوتة موسيقية – 8- بريق – أداة إستثناء – 9- حجارة صغيرة – أصل البناء – 10- منطقة في البقاع تجتازه طريق بيروت دمشق

حلول الشبكة السابقة

أفقيا

1-مجاهدي خلق – 2- جرش – مراسيم – 3- دم – داجن – اي – 4- لاتور – يانس – 5- إنكا – شوح – 6- لير – النضال – 7- مايسن – سنجر – 8- تاجر – هنيّ – 9- ور – نيسا – مدّ – 10- شمس الغنيّة

عمودياً

1- مجدل المعوش – 2- جرمانيا – رم – 3- اش – تكريت – 4- دوا – سانا – 5- دمار – إنجيل – 6- برجٌ – شل – رسغ – 7- خان يونس – ان – 8- لس – أحضنه – 9- قيان – أجندة – 10- ميس الريم

sudoku 4486

4			8				9	2
	6	5		9	3			4
2			7			8		
7					9			6
					8			3
1			9	6		5		8
3	1						4	
		8	3	1			2	
9					4	7		

شروط اللعبة

هذه الشبكة مكوّنة من 9 مربعات كبيرة وكل مربع كبير مقسّم إلى 9 خانات صغيرة. من شروط اللعبة وضع الأرقام من 1 إلى 9 ضمن الخانات بحيث لا يتكرر الرقم في كل مربع كبير وفي كل خط أفقي أوعمودي.

حل الشبكة 4485

9	8	2	4	5	3	6	7	1
3	7	6	1	2	8	4	5	9
1	4	5	9	7	6	3	2	8
7	2	9	8	6	1	5	4	3
6	5	3	7	4	9	1	8	2
8	1	4	2	3	5	9	6	7
4	9	8	5	1	2	7	3	6
2	3	7	6	9	4	8	1	5
5	6	1	3	8	7	2	9	4

مشاهير 4486

11	10	9	8	7	6	5	4	3	2	1

شاعر سعودي. كتب أشهر الأغاني الوطنية لدولة الكويت

2+3+1+5+6 = أخو الأم ■ 10+8+9+10 = صوت الماء ■ 11+7+4 = يبسط قدميه

إعداد نعوم مسعود

حل الشبكة الماضية: نيكولاس كايج

إعلانات رسمية

إعلان

ورقة دعوة صادرة عن محكمة بعلبك الشرعية الجعفرية إلى مينا ستيوارت باتي المجهول محل الإقامة بناءً على الدعوى المقامة ضدك من ركان علي شقير بموضوع إثبات طلاق تقرر موعد النظر فيها يوم الاثنين الواقع فيه 2024/2/5 فيجب حُضورك في الموعد المُعين أو إرسال وكيل رسمي عنك وفي حال تخلفك يجري بحقك الإيجاب الشرعي وكل تبليغ لك حتى الحُكم القطعي على باب المحكمة يكون صحيحاً.

رئيس القلم
حسين إسماعيل سماحة

إعلان

صادر عن السجل التجاري في بيروت بموجب محضر جمعية عُمومية غير عادية مُنعقدة بتاريخ 2023/11/29 تقرر بتاريخ 2023/12/21 حلّ وشطب شركة فيستي ترايدينغ ش.م.ل. أوف شور من قيود السجل التجاري في بيروت حيث هي مُسجلة تحت الرقم /1806307/ ورقم تسجيلها في وزارة المالية /2748551/ رئيسة مجلس إدارتها روزات طنوس منصور.
فعلى كل ذي مصلحة تقديم اعتراضه ومُلاحظاته في خلال مُهلة عشرة أيام من تاريخ آخر نشر.

أمين السجل التجاري
بالتكليف مارلين دميان

إعلان

أمانة السجل العقاري في صور
طلب محمد شبلي وكيل هاني خليل لموكلته روشنة رائف مروه سند بدل ضائع للعقار 4/1507 برج الشمالي.
للمُعترض 15 يوماً للمُراجعة
أمين السجل العقاري في صور
حسين خليل

إعلان

أمانة السجل العقاري في صور
طلب عادل وطفا وكيل محمد منّاع لمورثه إسماعيل خليل منّاع سند بدل ضائع للعقار 452 برج الشمالي.
للمُعترض 15 يوماً للمُراجعة
أمين السجل العقاري في صور
حسين خليل

وفيات

رئيس مجلس النواب
أعضاء مجلس النواب
ينعون بمزيد الأسى زميلهم المأسوف عليه
النائب والوزير السابق محمد يوسف بيضون
المنتقل إلى رحمة الله تعالى الأربعاء 20 كانون الأول 2023.

الأخبار
al-akhbar
السبت 23 كانون الأول 2023 العدد 5093

برمجة العيد

رغم الآلام... «الطفل في المغارة» يعدنا بالأمل

زكية الديراني

في مثل هذه المدّة من كلّ سنة، تزيّن الشاشات المحلية برمجتها بمشاريع تلفزيونية من وحي عيدَيْ الميلاد ورأس السنة. هذا العام، ورغم الأجواء الحزينة التي تسيطر على العالم بسبب العدوان الإسرائيلي على غزة وجنوب لبنان والذي دخل شهره الثالث، إلّا أنّ القنوات اللبنانية تقدّم أعمالاً «خجولة» مستوحاة من أجواء العيد. لا تحمل هذه المشاريع أيّ مفاجآت تذكر، بل هي عبارة عن حلقات خاصة يستضيف فيها المقدّمون وجوهاً معروفة، إلى جانب برامج دينية تتلاءم مع المناسبة.

في هذا السياق، أطلقت lbci هذا الأسبوع برمجتها الخاصة بالعيد. فقد بثّت الشاشات أمس الجمعة حلقةً خاصّةً من برنامج «المسرح The Stage» الذي تقدّمه كارلا حداد، وأطلّ فيها المغني رامي عياش. حلقة طغت عليها أجواء العيد من ناحية الديكور والألوان والهدايا.

تستمرّ برمجة العيد على القناة نفسها التي تعرض مساء الليلة (س: 20:30) حلقة خاصة من برنامج «المجهول» الذي يقدّمه رودولف هلال ويستضيف فيها غابريال يمين ومجموعة من زملائه. الحلقة ستكون تكريمية للممثل اللبناني الذي عمل لسنوات طويلة في المسرح والدراما، على أن تتضمّن لقطات مؤثرة مع غابريال وزملائه الذين سيتحدّثون عنه. أما ضيوف الحلقة، فهم: السيناريست كلوديا مارشيليان، والممثلين بديع أبو شقرا ونادين الراسي وندى أبو فرحات ونهلا وأليكو داوود.

مساء غد الأحد، تعرض القناة التي يديرها بيار الضاهر حلقة خاصة من برنامج «زمن» الذي تقدّمه راغدة شلهوب وتستضيف فيها مجموعة فنانين، ليليها الاحتفال التكريمي الذي أقامته جمعية «تكريم» (ريكاردو كرم) قبل أيام في «كازينو لبنان» وتضمّن جمع تبرّعات مالية لمجموعة من الفنانين اللبنانين الذين قدّموا أعمالاً لا تزال راسخة في ذاكرتنا.

يطلّ الممثل اللبناني غابريال يمين في حلقة خاصة من «المجهول» مع رودولف هلال

على الضفة نفسها، جهّزت otv برمجةً لافتة للاحتفال بعيد الميلاد، انطلقت في منتصف الأسبوع الحالي وتستمرّ حتى بداية الأسبوع المقبل. هكذا، أطلت داليا داغر الأربعاء الماضي بسهرة الـ «تيليتون» التي تنظّمها جمعية «سطوح بيروت» وجمعت التبرعات المالية لحالات إنسانية. وغداً الأحد، تحوّل برنامجها الصباحي «يوم جديد» من سياسي إلى اجتماعي مع مروحة من المذيعين سيقدّمون فقرات تركّز على أبعاد المناسبة الدينية والاجتماعية.

وتتحوّل نشرة الأخبار المسائية على otv إلى نشرة ميلادية بامتياز، وتتضمن تقارير تستعرض أجواء الفرح في لبنان والعالم. ثم، يطلّ المقدم عبده الحلو بحلقة خاصة صوّرها في كندا، تتوقف عند الجالية اللبنانية في الاغتراب.

من جانبها، بدأت mtv الأسبوع الماضي عرض برنامج «شجرة العيد» (يومياً ـ س: 18:30) الذي يقدّمه إيلي الشمالي، والقائم على اتصالات المشاهدين وتوزيع الألعاب. كذلك، باشرت المحطة التي يديرها ميشال المرّ بثّ إعلانات ترويجية لسهرة العيد التي تعرضها غداً الأحد، وتشمل لقاءات مع فنانين ومقدّمي برامج يتحدثون عن العيد، أبرزهم الممثلَيْن جورج خباز وسارة أبي كنعان، والمذيعة جيسيكا عازار، والمغنّي جوزيف عطية، وغيرهم.

في السياق نفسه، في جعبة «الجديد» برامج منوّعة بين الاجتماعي والفني. غداً الأحد، يطلّ نيشان في الجزء الأوّل من حلقة اجتماعية خاصة من «أنا مين» (بعد نشرة الأخبار المسائية) التي يستعرض فيها حالةً لشخص يبحث في ماضيه وحاضره. تلي الحلقة، سهرة بعنوان «دقي يا جراس» من تقديم ريتا حرب. ومساء بعد غدٍ الإثنين (س: 21:30)، سيكون الجمهور على موعد مع رابعة الزيات بحلقة خاصة من برنامج «فوق الـ 18»، تستعرض من خلالها حالات اجتماعية.

(تصميم فرانسوا الدويهي)

هو هو هو... إنه كريسماس

الحرب مع سانتا كلوز

بول مخلوف

كل مدن العالم تحوّلت هذه الليلة إلى مدينةٍ واحدة تغفر للجميع. مثلما تغسل الأمطار شوارع المدينة باستطاعة الثلوج محو الآثام، هكذا يظنون. الليلة، لا تُرمى قشور الموز من النافذة، بل تخرج اليد من النافذة وتقرع الأجراس. والأرصفة كلّها بيضاء، إن لم يكسُها الثلج، فأسنان الوجوه الضاحكة كفيلة بذلك. الضاحكون كثرٌ، والآخرون منهمكون بقضم نتفٍ من جبلٍ لونه أصفر باهت، شكله دائريّ ويباع بالقليل. يتذوّقون تلك القطعة الصغيرة، ثم يبتسمون، ثم يثرثرون، ثم يهزّون رؤوسهم عندما يخبرهم مسؤول المبيعات عن تاريخ العفنة المتخثّرة في قالب الجبنة.

لقد شابت المتاجر بسرعة رغم أن الكثير منها قد افتُتح مؤخراً. جميع المتاجر نبتت لحيتها، باتت تضع نظاراتٍ طبيّة، صارت تنطق، تقول: «ميري كريسماس». الزبائن بدورهم يردون التحية ثم يخرجون ضاحكين، ومعهم أكياسٌ... كيف يمكن لهذه الأكياس أن تحمل كل هذا الفرح؟ كيف لها ألّا تتمزق؟ غالباً ما يكون الفرح الذي تدفع ثمنه خفيفاً.

كريسماس المُحتفل فيه في كل عام لا يخرج من المغارة إنما من المتاجر. إلهه ليس غريم تجّار الهيكل إنما عجوزٌ سمينٌ يضع نظاراتٍ وله لحيةٌ، يأتي من القطب الشمالي مرة واحدة في السنة بعد منتصف الليل. انتظاره هو انتظار المكافأة، وفي حضوره نشوء للملكية الخاصة.

كريسماس هو احتفاء بقدوم هذا الرجل، وليس بميلاد صاحب تلك الدعوة الملحّة: «في المحبة خلاص العالم». خَبَت هذه الكلمات إثر الإنارة المبهرجة المحضّرة لاستقبال سانتا كلوز. في عالم يبدو الخلاص فيه أمنية مستحيلة، باتت المحبة كالسجل العدلي المفقود في الدوائر الرسمية. صارت تحتاج إلى كلام كثير، وبراهين منطقية، ثم إمضاء رسمي، وفي كريسماس هدية. لم تعد تلك الدعوة جذابة لأن دربها درب آلامٍ على الأرجح، وتلك الدروب يصرف النظر عنها كونها بعيدة عن ساحة الاحتفال. ثمة معادلات جديدة رسّخها كريسماس: صارت المحبة تخضع لشروطٍ، شكّلت المحبة من جديد، حتى تحوّلت بدورها إلى شرطٍ للهدية. هذا بند أوّلي هنا. هذا دستور المدينة الواحدة. هذا إنجيل سانتا كلوز: إنّ المحبة فإذاً، مثل الهدية، مشروطة ومقيّدة وتخضع لجردة حسابات، أما الصفح والمغفرة، فغداً سيذوب الثلج. أما بعد، فما الذي سيجلبه لنا سانتا كلوز في هذا العام؟ لكي تحصل على هديتك عليك أن تتجاوز الامتحان، حسناً: هل كنتَ نجيباً هذه السنة؟ هل أطبقت فمك على جرائم إسرائيل؟ هل وعدت أهلك أنك لن تتعاطف مع «الحيوانات»؟ هل قرأتَ قصص سي.إن.إن وبي. بي.سي قبل النوم؟ هل حفظت الدرس جيّداً؟ هل أدنتَ حماس؟

النار على وشك الانطفاء، المدخنة بحاجة إلى قليل من الحطب، لا بأس، هناك كثير من الأجساد الجاهزة للاشتعال. كل مدن العالم تحوّلت هذه الليلة إلى مدينة واحدة تغفر للجميع باستثناء مدينةٍ واحدة تحوّلت إلى مقبرة. مدينة واحدة لن تغفر ما دامت حربها مع تاجر الهيكل الملتحي، الذي يضع نظاراتٍ طبية مستمرة. من مقرّه في القطب الشمالي، يحضر سانتا كلوز القنابل والصواريخ كهدايا، ويجلس على كرسيّه الهزّاز مشرفاً على إبادة الأطفال الفقراء. عوضاً عن تساقط الثلوج، تسقط الأبنية والمنازل والأرواح، لكن بياض غزّة ولو كان نتيجة الحطام والغبار والركام، هو لون بزوغ العالم، ميلاده، وليس نهايته. هي مدينة واحدة لا تشبه مدن العالم بشيء. سكانها يحبونها كثيراً، لا يبيعونها بثلاثين من فضة، ولا يتركونها رغم تعرّضها للصلب كل يوم. كلّما اتّسع جرح المدينة زاد الحب (الأليم) تجاهها، فالمحبة هاته من دون شرطٍ، مجانية، وبلا قيدٍ. من قُتل بغفلةٍ، على مضض، موته هو مدّ اليد حتى ينعم غيره بالحياة. الأحياء يولدون من تلك الأيادي. تلك الأيادي المرسومة أدناه، موتها قربان المدينة، تلك الأيادي التي تحفر الأنفاق، وتضرب القذائف، وتحمل الأشلاء، هي كما نرى، تُحيل إلى القيامة مهما طالت الحرب وعلا صياح الديك.

(تلك الأيادي موتها ليس فناءً بل قيامة، وفي هذه المناسبة ميلادٌ) ستقتل سانتا كلوز حتماً، لا مفرّ من ذلك.

لقراءة ملحق «إنما»

الأخبار
al-akhbar
صادرة عن شركة أخبار بيروت

رئيس التحرير
ابراهيم الأمين

مدير التحرير المسؤول
وفيق قانصوه

مجلس التحرير
أمل الأندري
محمد وهبة
وليد شرارة
دعاء سويدان
جمال غصن
حسين سمور

المدير الفني
صلاح الموسى

المكاتب
بيروت ـ فردان ـ شارع دونان ـ سنتر كونكورد الطابق الثامن
تلفاكس: 01759500 01759597
ص.ب 113/5963

/AlakhbarNews
@AlakhbarNews
/AlakhbarNews

الإعلانات
الوكيل الحصري 01/759500 ads@al-akhbar.com
التوزيع
شركة الأوائل
15ـ 01/ 666314 ـ 03 / 828381
الموقع الالكتروني
www.al-akhbar.com

الأخبار
al-akhbar

السبت 23 كانون الأول 2023
العدد 5093 السنة الثامنة عشرة
Samedi 23 Décembre 2023 nº 5093 18ème année

كلمات

ملحق
أسبوعي

www.al-akhbar.com

فرنسا في القرن الحادي والعشرين
حرب غزة أطلقت محرقة الكتب

سعيد محمد

الحرب في شوارع غزّة، لكن مواجهات موازية تحدث على امتداد العالم وبأشكال متعدّدة بين حلفاء الصهيونية من جهة، والمتعاطفين مع فلسطين من جهة أخرى. النسخة الفرنسيّة من كتاب المؤرخ اليساري (الإسرائيلي) إيلان بابه المفصلي عن «التطهير العرقيّ في فلسطين»، كان ساحة أخرى للتجاذب بعدما نفدت النسخ من الناشر الفرنسي (فايار) وامتنع عن تأمين طبعة جديدة، بحجّة أنّ عقد الكتاب مع الناشر الأصلي ومالك الحقوق (دار «وون وورلد» البريطانيّة) انتهى منذ شباط (فبراير) الماضي.

كثيرون، ومنهم بابه، البروفيسور في «جامعة إكستر» في المملكة المتحدة، اعتبروا أنّ الناشر الفرنسي خضع لضغوط اللوبي الصهيونيّ في بلاده، وأنّ محاولة وأد الكتاب ليست إلا وجهاً آخر من أعمال الرقابة المتعسّفة التي تستهدف المحتوى المتعلّق بفلسطين بكل أشكاله والانتكاسة الصادمة للقيم الديموقراطيّة المزعومة في جمهوريّة الأنوار. نقل موقع «فلسطين كرونكيل» عن بابه قوله: «في الماضي، أحرقت أوروبا الكتب التي لم ترد للناس أن يطّلعوا عليها. في القرن الحادي والعشرين، يمتنعون عن طباعتها فقط لكن النتيجة واحدة. اليوم يتعلق الأمر بفلسطين، وغداً سيكون عن الجرائم الفرنسية في الجزائر، وبعد ذلك عن العنصرية في فرنسا الحديثة، وهكذا».

لحسن الحظ، فقد تجرّأ ناشر فرنسيّ آخر على تولّي المهمّة، وتأمين «التطهير العرقيّ في فلسطين» للقرّاء الفرنسيين. إذ توافقت «دار لا فابريك»، الفرنسية اليسارية المتخصّصة في كتب الفلسفة والتاريخ والسياسة، مع «وون وورلد» على إعادة نشر الكتاب بنسخته الفرنسيّة وتوزيعه في فرنسا قبل منتصف العام المقبل. وللمفارقة، فإنّ مؤسس «لا فابريك» التي نشرت العديد من الكتب عن القضية الفلسطينية، بما فيها بعض أعمال الراحل إدوارد سعيد ونورمان فلنكستين، يهوديّ مهاجر إلى فرنسا.

يصنّف بابه (مواليد 1954) أكاديمياً ضمن تيار المؤرّخين الإسرائيليين الجدد الذين ظهروا بداية عقد التسعينيات من القرن الماضي بعد سنوات قليلة على إزالة السريّة عن الوثائق الرسميّة الإسرائيليّة المتعلّقة بحرب 1947- 1948 ومرحلة الإعلان عن قيام الدولة العبريّة. نجح هؤلاء في إثارة الكثير من الجدل داخل الكيان المؤقت، وعبر العالم، بعدما بنوا، من زوايا مختلفة، أجزاء من سرديّة نقيضة للسرديّة الرسميّة الصهيونيّة السائدة عن تلك اللحظات المفصليّة من تاريخ فلسطين والشرق الأوسط. وقد أصدر بابه كتباً عدة هامة في هذا السياق تعدّ في مجموعها مصدراً لا غنى عنه في أي محاولة لفهم طبيعة المشروع الصهيوني في فلسطين، وتفكيك تراكم الروايات التاريخيّة المؤدلجة عن سير الأحداث منذ انطلاقها نهايات القرن التاسع عشر. لكن أكثرها أهميّة قد يكون «التطهير العرقي في فلسطين» (2006) الذي كشف فيه تفصيلياً عن سياسات استراتيجيّة صهيونيّة ممنهجة منذ بدء الاستيطان حتى لحظة إعلان «استقلال إسرائيل» لتطهير فلسطين عرقيّاً، وطرد سكانها الأصليين. أمر يرى بابه أنّه ما زال ديدن السياسات الإسرائيلية إلى اليوم. لقيت كتابات بابه قبولاً واسعاً، وأثارت الكثير من الجدل ومشاعر الصدمة في المجتمع الإسرائيلي، لكنّها أيضاً تسببت في تعرّضه لموجة من الانتقادات والتعنيف التي وصلت إلى حدّ التهديد بالقتل، وحتى الإدانة من الكنيست الإسرائيلي والصحف العبريّة، ما اضطره إلى ترك منصبه الأكاديمي في «جامعة حيفا» العبرية عام 2008، ليُنتقل من هناك إلى المملكة المتحدة، حيث يدرّس التاريخ في «جامعة إكستر» ويرأس «المركز الأوروبي للدراسات الفلسطينية».

رغم مشارفته عقده السبعين، لا يزال بابه ناشطاً في العمل السياسي والثقافي حول القضية الفلسطينية، ويدعم تياراً من مثقّفين غربيّين وفلسطينيين ويهوداً يتبنى حلّ «الدّولة الواحدة» أي قيام دولة ديموقراطيّة موحّدة للفلسطينيين والإسرائيليين، ويؤيّد جهود المقاطعة الأكاديمية للدولة العبريّة.

طوفان الأقصى

في زمن «الواقع المفرط»... المقاومة تُعيدنا إلى الحقيقة

العديد من الفيديوات نُشر من دون مونتاج ربما لضيق الوقت

تهاني نصّار

منذ بدء العدوان الهمجي غير المسبوق على قطاع غزة، وربما الأكثر عنفاً منذ حرب النكبة واحتلال فلسطين عام 1948، وجيش الاحتلال يغرق أكثر في دوامة فشله العسكري والإعلامي. في الشهر الثالث لمعركة «طوفان الأقصى»، لم يستطع العدو الصهيوني تحقيق أيّ هدفٍ حقيقي وفقاً للرأي العام الإسرائيلي والصحف العبرية، سوى ارتكاب جرائم حرب من حيث نوع الأسلحة وطبيعة الأماكن المستهدفة والإبادة المتعمّدة للغزّيين في شمال القطاع. ومع أنّه استنفدَ كل جهوده في محاولاته المتكرّرة لتضليل الجماهير حول العالم عبر تصدير الصور والأخبار المفبركة، إلّا أنّ الإعلام البديل فضح تلك الادّعاءات وكشف زيفها عبر رد الصور إلى أصلها بعد نزع التعديلات عنها، ونشر مقاطع حقيقية مصوّرة لأرض المعركة.

في هذه المقالة محاولة لقراءة الحرب عبر الصور المنتجة ونظرية الواقع المفرط أو «ما فوق الواقع» (Hyperreality)، أي المزج بين الواقع والخيال إلى درجة عدم التمييز بين ما هو حقيقي وما هو مصطنع وفقاً للفيلسوف الفرنسي جان بودريار (1929-2007). كما تقترح المقالة تصنيف أو إدراج ما ينشره الإعلام الصهيوني (الإسرائيلي والغربي) تحت مصطلح «السيمولاكرا» Simulacra، أي صورة/ نسخة ومحاكاة للواقع فقدت أصلها وأي صلة حقيقية لها، فأصبحت لا تمثّل إلا نفسها وفقاً لما قدّمه بودريار، بينما يبقى الإعلام البديل يقدّم صوراً تعدّ تمثيلاً للواقع (representation)، أي نسخة مُخلِصة له وعنه.

عُرف الفيلسوف وعالم الاجتماع الفرنسي جان بودريار بأطروحته للدكتوراه/ كتابه الأول «نظام الأشياء» (1968)، لكنه اشتهر خارج الأوساط الأكاديمية عبر كتابه Simulacra and Simulation (1981) («المصطنع والاصطناع» أو «التظاهرات والمحاكاة»، حسب اختلاف الترجمات العربية) الذي شاهده الملايين حول العالم في مكتبة «نيو» (قام بدوره الممثل كيانو ريفز) في فيلم «المصفوفة» The Matrix (1999) حيث كان يخبّئ في داخله ملفّات القرصنة الرقمية السرّية. اعتبر الأخوان وَتْشاوسْكي (قبل أن يتحوّلا جندريّاً إلى الأختين وتشاوسكي) اللذان تأثرا بشدة بنظريات بودريار ، أنّ العالم الذي نعيش فيه ليس هو الحقيقة أو الواقع الحقيقي، إنّما هو مجرّد محاكاة خادعة يسيطر عليها الذكاء الاصطناعي. بالفعل، جاءت فكرة الماتريكس من الكتاب الذي يُعد أكاديمياً «معقّداً» أو غير سهل، ويتعرّض للنقد خاصة من بابَي العدَمية و«الحتمية التكنولوجية». كان بودريار قد شاع اسمه في البلدان العربية مع كتابه «حرب الخليج لم تقع» (1991) الذي طرح نقداً فلسفياً مختلفاً للحرب، إذ اعتبر أنّ حرب الخليج لم تحصل إنّما كانت محاكاة لحربٍ من الصور المتلفزة والبروباغَندا التي لا تمثّل الواقع، وبالتأكيد لم ينكر العنف الذي حدث في أرض المعركة، لكنّه رأى أنّها لم تكن حرباً بمفهوم الحرب؛ من حيث طبيعة طرفَي الصراع والعتاد العسكري والصورة المنقولة والمتلفزة عن المعركة. كان بودريار من أشهر مفكّري ما بعد الحداثة، وجاءت نظرياته متأثرة بالسيميولوجيا ودور الرموز والدلالات في تقديم

> **أشار بودريار إلى ارتباط المصطنع بالاستعمار والهيمنة والتطور التكنولوجي**

معنى للواقع، لكنه عارض العلاقة الحتمية بين الدال والمدلول التي اعتمد عليها هذا العِلم ومؤسّسه الفيلسوف السويسري فيردينان دو سوسير. بالنسبة إلى بودريار، إنّ غياب العلاقة بين الدال (signifier) والمدلول (signified) أدى إلى غياب الواقع أو اختفائه، لأنّ الدلالة (أو المعنى) تفترض وجود ترابط بين الصورة وما ترمز إليه. لكن في العصر الحديث القائم على التكنولوجيا وتطوّر وسائل الاتصال الجماهيري، فقدت الصورة علاقتها بالواقع واكتفَت بذاتها حتى أضحت لا تمثل أي مرجعية لمدلولها، بل تكون هي مرجعية نفسها. يشرح بودريار أن الإعلام بفعاليته المضاعفة لا يقدّم الواقع كما هو، بل حوّل الحياة الاجتماعية بين البشر إلى صورة غير حقيقية ولّدها الإعلام عن صور أخرى مولّدة منه أيضاً. يقصد الناقد الثقافي أنّ ما نشاهده عبر الشاشة المتلفزة ليس صورة عن الواقع، فالواقع بذاته لم يعد موجوداً، وأنّنا اليوم نعيش في ما يسمّيه «ما فوق الواقع» أو «الواقعية المفرطة». هذه الـhyperreality التي فرضتها التكنولوجيا الرقمية عبارة عن عالم مؤلّفٍ من عمليات اصطناع وصور بلا أصل محدّد في الواقع، يُشير إليها بودريار بالسيمولاكروم (مفرد لكلمة سيمولاكرا) أي نسخة مصطنعة رقمياً عبر أجهزة الكومبيوتر يولّدها الإعلام من دون وجود أصل، صور متخيّلة ووهمية لا قيمة أصلية لها، لكنّها مهيمنة وتكسب قيمتها من قدرتها على غواية الجماهير. في ضوء الحرب على غزة أي منذ السابع من تشرين الأول والعدو الصهيوني يحاول مرة تلو الأخرى تصدير سرديّته الخاصة للعدوان، وتبرير حصاره الشامل للقطاع وقطعه كل مستلزمات الحياة الأساسية من ماء وطعام واستهداف المستشفيات وأماكن العبادة. ويمكن القول إنّه جرّب كلّ ما يمكن فعله، ليس للقضاء على «حركة حماس» فقط، بل لإخضاع الفلسطينيين للاحتلال الاستيطاني بالترهيب والقصف والإبادة، مصدّراً مجموعة من الصور التي نشرها عبر إعلامه الكلاسيكي والرقمي. كما خرج ممثلوه السياسيون والديبلوماسيون في الأرض المحتلة وحول العالم ينشرون هذه الصور التي يُفترض - حسب قولهم - أنّها مأخوذة من الواقع، تشكّل «تمثيلاً مخلِصاً» للواقع، وتنقل صورة الواقع من أرض المعركة. من أكثر تلك الصور انتشاراً وتأثيراً في بداية الحرب، تلك التي حملها رئيس وزراء العدو بنيامين نتنياهو لاستعطاف الجماهير وحشد الرأي العام تجاه الحرب على «حماس» وغزة بالكامل، ويظهر فيها جسم محروق أسود اللون غير واضح المعالم، زعم أنها صورة لـِ «طفل إسرائيلي حرقته حماس بنيرانها». لكن هناك نقاط هامة عدة يجب إيضاحها حول هذه الصورة بالتحديد: أولاً: لم تكن لطفلٍ إسرائيلي محروق، ثانياً: ليست صورة طفل محروق (أي طفل من أي جنسية أو هوية)، ثالثاً: لم تكن لجسم بشري محروق سواء كان طفلاً أم بالغاً، رابعاً: ليست صورة أي شيء محروق إن لم يكن بشرياً! من ضمن الأشخاص والمؤثرين الذين فضحوا الصورة، كان الإعلامي الأميركي جاكسون هينكل الذي نشر تغريدة كشف فيها أنها صورة مركّبة وجرى توليدها بالذكاء الاصطناعي، وهي في الأصل صورة كلب في عيادة بيطرية. قام هينكل يوماً برد الصورة إلى ما قبل التعديلات المتتالية التي تعرّضت لها، عبر عملية عكسية للذكاء الاصطناعي.

تحدّث بودريار صاحب كتاب «روح الإرهاب» (2003) عن ضياع الواقع في متاهة الصور المصطنعة اللامتناهية، أي المتخيّلة والوهمية التي تروّج لها الميديا وتتناقلها باعتبارها تمثيلاً للواقع، وما هي إلا صور مهيمنة لا قيمة أصلية لها، بل تكتسب قيمتها من قدرتها التأثيرية على إدراك الناس وفهمهم للواقع الاجتماعي والثقافي الذي يعيشونه. هذه الـ«سيمولاكرا» التي تبثّها الميديا تحاول إقناع الناس بأنّ «الحرب هي السلم» (بتعبير الكاتب جورج أورويل صاحب رواية «1984»)، وما يردّده المسؤولون الصهاينة والغرب من تبرير للمجازر المستمرة حتى لحظة كتابة هذه السطور، وتجاوز عدد الشهداء في غزة عشرين ألفاً، نصفهم من الأطفال الصغار، يُسهم في تعزيز الفكرة المروّجة نفسها.

قد يسأل القارئ عن الغرض من فبركة الصور ومحاولة اصطناع مشاهد مزيّفة يعلم الصهيوني، ذو التكنولوجيا الحديثة والمتطورة، أنّها ستنكشف بعد وقتٍ قصير. هنا تجدر الإشارة إلى أهمية عمليات التضليل والخداع التي يستمر الاحتلال بالقيام بها، فإن كنا نستطيع فضحها بسهولة، يفرض السؤال نفسه: لماذا يستكمل العدو الفعل ذاته بعد الفضائح الإعلامية المتتالية؟ ببساطة، يمكن القول إنّ مسألة «الفضيحة» تشكّل فارقاً عند من هو أخلاقي بطبعه، فالفضيحة في اللغة تعني «كل ما ينكشف من انحرافٍ للقيم الأخلاقية» و«الشهرة بما يُعاب وما يجلب العار». هل يخاف الاحتلال الاستعماري والاستيطاني على سمعته من الفضيحة؟ هل كشف الكذب والبروباغاندا يخيف العدو الصهيوني بشيء؟ كيان احتلالٍ قام وجوده على نهب الأراضي وتهجير السكان الأصليين قسراً إلى خارج مدنهم وقراهم، وارتكاب المجازر وتهويد البلد، هل من الممكن أن تهزّه فضيحة صور مفبركة يمكن تبريرها بكونها جزءاً من المعركة والحرب الإعلامية؟ السبب الثاني والأهم الذي يجعل العدو يستمر في اصطناع الصور التي لا أصل لها، هو تكثيف المعلومات التي ستتراكم لدى الجماهير بفعل تأثير الميديا عليهم وبذلك يكون قد نجح في أمرين: تحصيل المزيد من الوقت في الحرب، فكلّما زيّف شيئاً جديداً ربح أياماً لاحقة في استمرار الحرب، كما أنّ الجماهير ستتناقل الصور والأخبار الأولى، أي التي نشرها للمرة الأولى مسؤولون كبار. في معظم الأحيان، يعتمد كثيرون من الجماهير على الخبر الذي سمعوه أولاً، والصورة التي شاهدوها للمرة الأولى، فتصبح بالنسبة إليهم هي الأصدق، وإن جاء فضحها بعد وقت لاحق. يوضح بودريار أنّ شاشات التلفزة ومحطات الراديو ووسائل الإعلام كافة من بينها الإنترنت، تروّج للصور والرسائل والقيم تبعاً للرغبات المتفاوتة، بحيث يتبنى المشاهد الصور في جهازه النفسي والسلوكي ويحدد عبرها علاقته مع الناس والحياة.

بالعودة إلى العالم الـhyperreal حسب بودريار، فإنّ عملية إنتاج الصورة تطوّرت مع الزمن، وتغيّرت الصورة المنتجة وفقاً للتكنولوجيا الحديثة، فالصور ما قبل الثورة الصناعية تختلف عن تلك التي جاءت بعدها بسبب وجود المكننة، كما تختلف الأخيرة عن الصور التي تُنتج باستخدام التكنولوجيا الرقمية والذكاء الاصطناعي. يرى بودريار أنّ النموذج الأول للصورة هو تمثيل للواقع representation، لا يهدّد الواقع بالحلول مكانه ولا يشوّه حقيقته أو أصله، بينما أنواع السيمولاكرا اللاحقة التي تنتج في العصر الحديث هي التي تقوم بالتلاعب بالأصل وتشويه طبيعته. وهنا يأتي السؤال: هل يمكن تصنيف الصور التي تنشرها المقاومة الفلسطينية، حسب فلسفة بودريار، واقعاً حقيقياً من النوع الذي يسبق «الواقع المفرط»؟ صحيح أن الفيلسوف الفرنسي يصف العالم الذي نعيش فيه، بنمط استهلاك البشر المفرط وخروج السلع عن قيمتها الوظيفية وغيرها من الوقائع، بمجمله واقعاً مفرطاً بسبب التكنولوجيا والإنتاج الضخم والصور المنسوخة وتلك المتلفزة، إلا أنّ نوع الصور والمقاطع المصوّرة التي تنشرها المقاومة، كما الهدف المراد منها، يمكن النظر إليه باعتباره تمثيلاً صادقاً للواقع، وإن كانت فيديوات الإعلام العسكري ممنتجة لتُضيف رموزاً افتراضية إلى الصورة الأصلية. فالعديد من الفيديوات نُشرت من دون مونتاج ربما لضيق الوقت. ولدى المقارنة بينها وبين تلك التي تخضع للتعديل، نرى أنّ التعديلات والإضافات ليست بالذكاء الاصطناعي ولا تهدف إلى تغيير الحقيقة أو تهديد الواقع بالحلول محله، بل تكون الإضافات مجرّد رموز وإشارات وأحياناً بعض المؤثرات الخفيفة مثل تخفيف سرعة ضرب دبابات العدو، التي تسهم في إيضاح الصورة المنقولة.

قد يجلب هذا الاقتراح أنّ المقاومة الفلسطينية تستعيد الواقع الحقيقي في زمن الواقع المفرط، نقداً مفاده أنّ إعلام المقاومة يستخدم الأدوات التكنولوجية والإعلامية ذاتها -أو على الأقل أدوات مشابهة- لكن هنا يجب التذكير بأنّ بودريار أشار في أطروحته إلى ارتباط المصطنع بالاستعمار والهيمنة والتطور التكنولوجي. يعني ذلك أنّ العدو الصهيوني، بوجوده الاستعماري والاستيطاني وسيطرته على الأراضي المحتلة وحصاره للأراضي التي تخضع للحكم الفلسطيني مثل غزة، واحتكاره للتكنولوجيا المتطوّرة في صناعاته الحربية وفي خدمة إعلامه العسكري، هو الذي يقوم باصطناع صور ورموز ما فوق الواقعية، لا تمت للواقع بصلة، بل تخلق محاكاة مزيّفة لا أصل لها. نجد أنّ هذا التحليل يأخذنا إلى استنتاج أنّ الوجود الصهيوني على الأراضي الفلسطينية هو واقع مختلقٌ بفعل الاستعمار والقوة التكنولوجية العسكرية، أي إنّه مع روايته التاريخية المزيّفة، ليس إلّا سيمولاكرا ومحاكاة لواقع مصطنع لا أصل له... متاهة من الصور المولّدة عن صور سابقة من دون أصل.

اعتبر جان بودريار أنّ حرب الخليج لم تقع إنّما كانت محاكاة لحربٍ من الصور المتلفزة والبروباغندا التي لا تمثّل الواقع

حزينة فلسطين وحزينة أعيادها

عدنان داغر *

منذ وطئت أقدام المحتلين والغزاة الصهاينة أرض فلسطين، صارت أعيادها بلا طعم وغابت عنها «المسرّة»، والفرح ومظاهر البهجة والسرور التي تترافق والأعياد في كل أنحاء الأرض.

حدّثنا من عاشوا في فلسطين قبل النكبة عن أعياد ومواسم ومناسبات كان الفلسطينيون يحيونها باحتفالات وقرع طبول ومسيرات كشفية، وحلقات الدبكة وفعاليات عديدة تعبّر عن الفرح وحب الحياة، لعلّ من أشهرها «عيد لد» (مدينة اللد)، وهو عيد كان يحتفي به الفلسطينيون المسيحيون في اللد، وموسم النبي موسى، والنبي صالح، والنبي «روبين»، وغيرها من الأعياد والمناسبات.

لكنّ درّة الأعياد وتاجها كان وما زال لدى المسلمين، عيدا الفطر والأضحى، ولدى المسيحيين الفلسطينيين، أعياد الميلاد (كريسماس) لدى مختلف الطوائف المسيحية، وعيد الفصح المجيد (إيستر). كان يخرج الناس في هذه الأعياد إلى الحدائق العامة والأطفال إلى المراجيح، ويوزعون الحلوى وينحرون الذبائح (أعياد المسلمين)، ويزينون شجرة الميلاد ويطبخون البربارة ويصنعون الكعك المنزلي الشهي ويزيّنون الأشجار والشوارع (لدى المسيحيين)، ويتبادل أبناء الشعب من كل الطوائف والأديان الزيارات والتهاني، ويزورون المقابر لتذكّر أعزائهم الراحلين، وتعمّ البهجة كل أنحاء فلسطين، بأديانها وطوائفها المختلفة.

اختلفت طقوس الأعياد بعد الاحتلال، فصار الناس يزورون بيوت الشهداء والمعتقلين، ويتبادلون التهاني بالأعياد، من دون «فرح ولا مسرّة»، وتقتصر أعيادهم في كثير من الأعوام على إقامة الشعائر الدينية في المساجد والكنائس والمقابر!

وتأتي أعياد الميلاد هذا العام لدى الطوائف المسيحية كافة، وغزة تتعرض للقصف والإبادة والتجويع، والحرمان من أدنى مقومات الحياة، إذ يتابع الفلسطينيون في الداخل والخارج أنباء غزة التي يرتقي فيها الشهداء يومياً بالمئات، بحزن وحسرة على ما يحدث.

في مناسبة حلول أعياد الميلاد لدى الطوائف المسيحية، أعلنت مختلف الطوائف والكنائس في فلسطين عن إلغاء كل مظاهر الزينة والفرح، تضامناً مع غزة وأهلها، واقتصار الأعياد على الشعائر الدينية في الكنائس.

غابت عن مدن بيت لحم، والقدس ورام الله وسائر مدن وقرى فلسطين التي يتواجد بها أبناء الديانة المسيحية، مظاهر الزينة وشجرة الميلاد، التي كانت تُنصب في الساحات العامة، وتجري إضاءتها في طقوس احتفالية، رسمية وشعبية.

وعلى صعيد الحركة التجارية، غابت الحركة النشطة للتسوق في مناسبة الأعياد عن الأسواق الفلسطينية، التي عانت أصلاً من الكساد منذ تشرين الأول (أكتوبر) الماضي، بسبب الهجوم الإسرائيلي على غزة وشعبها، وتدمير كل مرافقها وبناها التحتية، ولم تسلم المراكز التعليمية والمدارس والجامعات والمستشفيات وأماكن العبادة (المساجد والكنائس)، من التدمير والإزالة من الوجود، وجرى تشديد الحصار، حيث لا دواء ولا ماء ولا غذاء ولا أدوية ولا كهرباء.

في هذه الأجواء الحزينة والمؤلمة، لكل أبناء الشعب الفلسطيني في كل أماكن تواجده، جرى إلغاء الاحتفالات ومظاهر الفرح والزينة، وحتى الاحتفالات في أماكن مغلقة، جرى إلغاؤها أيضاً.

عبارات مثل «كل عام وأنتم بخير»، «كل سنة وإنتو سالمين»، صارت بلا معنى في هذه الأجواء الحزينة على فقد الشهداء، واستبدلت بالدعاء لفك كربة غزة وأهلها، والترحّم على شهدائها، والتمنيات لجرحاها بالشفاء العاجل، ومعتقليها بالفرج القريب، وحصارها بالانحسار.

لن يستطيع سانتا كلوز (بابا نويل)، أن يتجول بين الأحياء، ليقدّم للأطفال جرعة فرح وهدية، ولن يُسمع الجرس الذي كان يرافقه أثناء تجواله.

حزين ليل فلسطين ونهارها، وغائبة فرحة الأعياد عن ملامح أطفالها، وكل أهلها، إلى أن ينجلي ليل الاحتلال، وتشرق شمس فلسطين على ربوعها، تنشر الدفء والحرية.

* فلسطين/ رام الله

طوفان الأقصى

أريلا عائشة آزولاي... لِكلّ الكولونيالياتِ الجوهر الدموي نفسه

رشيد وحتي

للبدء مقولة في وصف المجتمعات الطبقية: «في كلّ أمّة أمّتان»، تنسجم مع حكمتنا الشعبية الشرقية: «النّاس طوبٌ وحَجَرْ». وعليه، فنحنُ لا نعتبرُ الغرب كتلةً أيديولوجيّةً واحدةً؛ فقد بيّنّ التّفاعل مع ملحمة الطّوفان أنّ فيه ذواتاً ومثقّفين وقوى حيّة بقظة الضمير؛ بل إنّ بعضها مثل نعوم تشومسكي، نورمان فنكلشتين، يانيس فاروفاكيس وقوى يسارية وحركات طلابية لم تقف عند مناصرة الفلسطينيّين، بل تحدّت محاولة الصحافة الصهيونيّة إحراجها بالسؤال الفجّ الذي كانت تنتظر منه أن يدينوا لجوء المقاومة الوطنيّة الفلسطينيّة إلى العنف الثوري على أراضٍ محتلّة وفقاً للقرارات الأمميّة ضدّ قوّة احتلال لا حقّ لها في التّذرّع بحق الدفاع، وفقاً لما أقرّته المحكمة الجنائيّة الدوليّة لكلّ فرد أو جماعة خاضعة للاحتلال.

ومن هذا المنطلق، وبعدما كرّسنا، في الأسابيع الماضية ملفّات لتفكيك وحركات طلّابيّة لم تقف عند لوجوه غربيّة ـ غُرفت بميولها التحرريّة والديموقراطية ـ مِنْ نزعة احتقاريّة للعرب عامّة تُنْكِرُ عليهم حقّهم في التّطلّع إلى الاستقلال والتّحرّر، إنكار وصل حدّ الانحياز إلى القوى الإمبرياليّة دائماً، وإلى ربيبها الكيان الصهيونيّ غالباً؛ نشرعُ اليوم في تناول الوجه المضيء والمستنير المنشقّ عن هذا الغرب الاستعماري، عبر أسماء مرموقة انسلخت عن قطيع التّفكير الطّبع للراسمال المعولم بالحروب لتتّخذ مواقف منحازةً لنصرة المستضعفين.

وأنت تتمعّن في صورة أريـيـلّا عَائِشَة أزولاي التي وضعتها على صفحتها الأكاديميّة الشخصيّة، يثيرك زيَها وحليُّها الطافحان بروحها الشّرقيّة: مِشْبَكٌ لزينة القساتين على الجدار يسارها؛ قُمُجّةٌ (قميص) أمازيغيّةٌ سوداء، عِقدٌ من عقائق تتدلّى منه عملات جزائريّة، مغربيّة، تونسيّة، إسبانيّة، برتغاليّة، فلسطينيّة (قبلَ 1948)، مِنَ الأرشيف الذي احتفظ به والدها، للدّلالة على هوياتها المتعدّدة والمتقاطعة والتي لا يُضيرُها عدم تجانسها. فهي ترى أنّ التجانس عمليّة كولونياليّة تتمُّ بقوّة السلاح وما تسمّيه «الهندسة البشرية» الاستعماريّة. لا ترى أزولاي أيّ تنافر في جمعها بين عقيدتين وجنسيّتين، مع استردادها لاسم جدّتها لأبيها (عائشة) للدلالة على استعادة ما حاولت الكولونيالية الفرنسية والإسرائيلية سلبه إيّاها، قاوَلَ الحروبِ بالنّسبة إليها تستهدف الذاكرة. أزولاي أستاذة الثقافة المعاصرة والإعلام والأدب المقارَن في «جامعة براون» الأميركيّة أصدرت العديد من الأعمال أبرزها: «التاريخُ المحتفل» (2019) و«من فلسطين إلى إسرائيل: سجلّ فوتوغرافي للدمار وتشكيل الدولة، 1947-1950» (2011) و«شرط الدولة الواحدة: الاحتلال والديموقراطية بين البحر والنهر» (2012). هي أيضاً قيمة فنية ومخرجة تتجلّى راديكاليّة طروحاتها في حصافة قراءتها للأرشيف الفوتوغرافي الاستعماري وفضحها لتعاضد القوى الكولونياليّة في تدمير النسيج الاجتماعي للدولة التي تحتلّها عبر تغريق (racialisation) الصراع بضرب التنوّع الثقافي واختزاله في ثنائيّات تناحريّة (مسلم/يهودي، عربي/ أوروبي، إسلامي/ يهودمسيحي). إلّا أنّ الأجرا في تناولها هو عدم اكتفائه بمناهضة فكرية الكولونياليّة وإنما الانخراط في تيار راديكالي جديد، لم يعد يكتفي بالموقف، وإنّما صار فاعِلاً في النّشاط الأممي في تفكيك الكولونياليّة (décolonialisme)، فهي ترى أنّه عبر الممارسة السياسيّة والفكريّة، لا يزال ممكناً تصفية كلّ آثار الإمبرياليّة بالمقاومة الرامية إلى إفشال برامجها ومحو عواقبها. نترجم هنا رسالة مفتوحة نشرتها أزولاي رداً على تقرير كتبه المؤرخ الفرنسي بنجامين ستورا عام 2021 بناءً على طلب الرئيس الفرنسي إيمانويل ماكرون، وتجاهل فيه «ذكر كيف أنّ فرنسا أجبرت العرب اليهود على تبنّي شخصية الأوروبـــي ونيل جنسيته في مقابل النظر إلى العرب والمسلمين بصفتهم «الآخر»» على حدّ تعبير أزولاي:

عزيزي بنجامين ستورا

في عام 2017، أقرّ الرّئيس الفرنسيّ إيمانويل ماكرون بأنّ استعمار الجزائر كان جريمةً ضدّ الإنسانية. كنتُ أتطلّعُ، مع كثيرين غيري، إلى قراءة تقرير الذي صدر أخيراً حول هذا الموضوع، الذي كتبتْه بتكليف مِنَ الرّئيس. ومع ذلك، بعد قراءته، شعرتُ بالفزع لخُلُوّه مِنْ مناقشة جرائم الإمبرياليّة، ولا أستطيع فهم هذه الإغفالات. ورغم أن ثمّة منها الكثير، إلّا أنّني سأركّز على واحدةٍ منها: تدمير الثّقافات اليهوديّة في المغرب الكبير.

ومِثْلَكَ، لديّ رهانٌ شخصيٌّ في هذه الأمور. لقد وُلِدْتُ في عام 1962، وهو العامُ الذي انتهتْ فيه الحرب، عندما أُجبرَتْ عائلتي وعائلتك و140 ألف يهوديٍّ آخَر على مغادرة الجزائر كنتيجةٍ مباشرةٍ لاستعمارها الطويل. وكما لاحظْتَ في كتابك الصادِر في عام 2006 بعنوان «المَنافِي اليهوديّة الثّلاثة مِنَ الجزائر»، فقد سَبَقَ هذا النَّفْيَ اثنان آخران. حَدَثَ الأوّل في عام 1870، عندما فَصَلَ مَرْسُوم Crémieux اليهودَ عن بقيّة ساكِنَة الجزائر وحوّلَهم إلى مواطنين فرنسيّين في بلدهم. والثاني في عام 1940، عندما ألغتْ حكومة فيشي هذا المرسوم واسقطتْ معه الجنسية الفرنسية عن يهود الجزائر الذين فَرْنَسَتْهُمْ أنفاً. لَكَمْ كان كتابك مفيداً جداً لي عندما بدأتُ، منذُ أكثر مِنْ عِقد، في طرح أسئلة حولَ الهُوِيّة المُلَفّقة التي ألصقت بي عند ولادتي: «إسرائيليّة». وكلّما تعمّقْتُ في دراسة الآليّات المصطنَعة التي سُخِّرَتْ لفَصْلي عنْ أسلافي اليهودِ الجزائريّين، كلّما قلّ تعرُّفي إلى نفسي في هذه الهويّة الملصَقة بي. فقد رفضْتُها مرّتين: أولاً، كشكل من أشكال الانتماء؛ وثانياً، كنمطٍ إمبرياليٍّ للتاريخ، كجهدٍ لتحديد بدايةٍ جديدةٍ (في عام 1948)، كقطيعةٍ بين ما صُيِّرَ «ماضيا» وما أريدَ له أن يكون مستقبَلاً. أعلنَ إنشاءَ دولةِ إسرائيل الانتماءاتِ والتّشكيلاتِ السّابقة وكلّما تعمّقْتُ في دراسة الآليّات المصطنَعة التي سُخِّرَتْ لفَصْلي عنْ أسلافي اليهودِ الجزائريّين، كلّما قلّ تعرُّفي إلى نفسي في هذه الهويّة الملصَقة بي. فقد رفضْتُها مرّتين: أولاً، كشكل من أشكال الانتماء؛ وثانياً، كنمطٍ إمبرياليٍّ للتاريخ، كجهدٍ لتحديد بدايةٍ جديدةٍ (في عام 1948)، كقطيعةٍ بين ما صُيِّرَ «ماضيا» وما أريدَ له أن يكون مستقبَلاً. أعلنَ إنشاءَ دولةِ إسرائيل الانتماءاتِ والتّشكيلاتِ السّابقة إمّا غيرَ موجودةٍ (فلسطين) أو في غير محلّها (اليهود الجزائريّون، اليهود العراقيّون، وما إلى ذلك). ممّا قلّلَ مِنْ قيمة تفرُّدِ مجموعاتٍ متنوّعةٍ مِنَ اليهود، وأعاد تشكيلهم وتحويلَهم إلى مجموعةٍ لا تمايُزَ فيها. خطوةٌ واصَلَتْ بفعّاليّةٍ المشروعَ النّابوليونيَّ لتنميطِ الحياةِ اليهوديّة، ما جعلَ «الشعبَ اليهوديَّ» ضِمْنَ موضوعٍ تاريخيٍّ ـ قوميٍّ، لا يمكن تحقيقه بالكامل إلّا عبر دولةٍ ذاتِ سِيَادةٍ خاصّةٍ بها.

عندما بدأت في جمع التّاريخات والذّكريات عن هُوِيّتِنا، نحن اليهود الجزائريّين، الممتدّة حتّى وقتٍ ليس ببعيد، لاحظتُ تشابُهاً مُدهِشاً بين الهُوِيّة الكولونياليّة الاستيطانيّة المُلْصَقة بي والهوية المُلْصَقة بأسلافي الجزائريين عام 1870. غادر والدي الجزائر إلى إسرائيل في عام 1949، واضطُرّت بقيّة عائلتي إلى المغادرة في عام 1962 إلى فرنسا، تاركين وراءهم أكثر مِنْ ألفَيْ عام مِنَ الحياة اليهودية العربية في المغرب الكبير. بوسعنا القولُ إنّنا مِنْ أصول جزائريّة، لكنّ الكولونياليّة دمّرت العالَمَ المشترَك الذي تجسّدت فيه هذه الهُوِيّة مادّيّا. عندما صُيِّرَ أسلافي مواطنين فرنسيّين، لم يَكُفُّوا عنْ بقائهم مستعمَرين؛ وكان «منحُهم» الجنسية الكولونياليّة الاستيطانيّة شكلاً آخر مِنْ أشكال الكولونياليّة الاستيطانيّة الفرنسيّة، لا نهاية لها. وبالفعل بدأت عمليّة الاستئصال. فُصِلَ اليهود عن أناسٍ عاشوا بينَ ظَهرانَيْهِم وشاركوهم اللّغة، المعتقَدات، الخِبْرات، التّقاليد، المَناظِر الطّبيعيّة، التّواريخ والذكريات. رحَّبَ بعضُ اليهود الجزائريّين بالجنسيّة الفرنسيّة، ولكنْ في عام 1865، رفَضَ معظمُهم التّقدّمَ بطلب للحصول عليها. المَنافي الثّلاثة الّتي تَصِفُها في كتابك أمثلةٌ على التّمنّي الباطِل الّذي دفعَه اليهودُ مقابلَ جنسيّةِ مستعمريهم، وهو القرارُ الّذي أثّر على أحفادِهم أيضاً. وفي حقيقة الأمر، فإنّ البعض اختارُوا الامتثال لذلك — ووجدوا لاحقاً طُرُقاً للإفادة مِنْ جنسيّتهم — بما لا يجعلُه أقلّ تكنولوجيا كولونياليّة، تُجبِرُ النّاس بالقوّة على أنْ يصبحوا غيرَ ما هُمْ عليه.

إنّ دراسةَ العلاقةِ بين هاتين الهُوِيّتَين الاستيطانيّتَين، الفرنسيّة والإسرائيليّة، ساعدتني على فهم الدور الذي لعِبَتاه في خدمة مصالح القُوى الكولونياليّة الأوروبية الكبرى: أي فصل اليهود عن العرب والمسلمين ودمجهم في «التّقليد اليهومسيحي» المصطنَع. بطبيعة الحال، تطوّع بعضُ اليهودِ لوضع أنفُسِهم ضِمنَ «الإطار الأكبر للحضارة الغربيّة»، كما وصفَتْه سُوزانّا هِيشل. لكنّ هذه الحقيقة توضّحُ فقط الدّور المهم الذي لعبَه — وما زال — الهجوم الكولونيالي على التّنوّع البشري، وحوافزه في «الاستيعاب» ضِمْنَ المشروع الكولونيالي. وبينما تمّ استيعابُ يهود المغرب الكبير والشرق الأوسط قسراً ضِمْنَ الشّخصيّة الأوروبية لليهودي كَخواطِن، فقد دُرِبوا على رؤية العرب والمسلمين كآخرين. وأصبَحوا، عبر دولة إسرائيل، يُعتبرونهم أعداءً لَهُمْ.

ومِنَ المؤسف أنّ هذا السّياق مفقود تماماً في تقريرك. إذ لم تذكر المَنافي الثلاثة التي كتبتَ عنها سابقاً. ومع ذلك، ينبغي فهمُ المنفى الأوّل على أنّه الخلفيّة التي يمكن أن تَنشأ عليها دولةُ إسرائيل الكولونيالية الاستيطانيّة القائمة على تدمير فلسطين. وعندما حلّ المنفى الثالث في عام 1962، قامتْ إسرائيل، فعلاً، بترسيخ العداء بين اليهود والعرب وجعلَتْه مِنْ ثوابت الحالة اليهوديّة. وبعبارةٍ صريحة، فإنّ دولة إسرائيل تشتغِلُ، مِنْ بين وظائف أخرى، كمَصْفى لِلْمَساءَلة الفرنسيّة عن جرائم فرنسا الكولونياليّة ضدّ اليهود في الجزائر وفي البلدان الإسلاميّة الأخرى. تُعَدُّ المواطنة الكولونياليّة والدّولة الاستيطانيّة اليهوديّة، في هذه الصّفقة، «هدايا» كولونياليّة تُهدفُ إلى جبر ضرر ضحاياها بالعُملة الكولونياليّة مِنْ أجل الحفاظ على استمرار المشروع الكولونيالي. «منحهم» الجنسيّة الفرنسيّة والدّولة القوميّة اليهوديّة، كان يُتَوقّعُ مِنَ اليهود المهندسين أن يُمضُوا قُدُماً ببساطة، وأنْ ينْسُوا العالَمَ المدمّرَ الّذي ما زالَ مُمْكِناً أنْ يكونوا جزءاً مِنْه، ليُصبحوا، بدلاً مِنْ ذلك جزءاً مِنَ العالَم الإمبرياليّ، كمواطنين مشغّلين للتّكنولوجيات الّتي تُواصِلُ ارتكاب جرائمَ ضدّ الإنسانيّة.

حسناً، أنا أرفضُ هذا جملةً وتفصيلاً. هذه الصّفقة لا تُنهي الكولونياليّة، بل تَعملُ على إدامتِها. إنّها تُسهّلُ تعيينَ بعض اليهود لإضطهادِ يهودٍ آخرين ومواصلةِ النّضال من أجل تصفية الكولونياليّة بالكامل لمصلحة جميعِ أولئك الذين كانوا وما زالوا مستعمَرين ومن أجل تفكيكِ المؤسّسات التي وُضعت لتسيير المشروع الكولونيالي. لقد وقّعَ أسلافُنا في المغرب الكبير ضحيّةً مباشرةً للعُنف الكولونياليّ، حتّى مع قبولهم التّدريجيّ للصّفقات المفروضة عليهم عبر هذه المنافي الثّلاثة. فهلْ يتوجّبُ علينا، نحنُ أحفادهم، أنْ نَقْبلَ بها وأنْ نَلتزمَ بها؟ الا يحقّ لنا مواصلةُ النّضال ضدّ الكولونياليّتين الفرنسيّة والإسرائيليّة، والنّضالُ مِنْ أجل قلب نتائج الجرائم الإمبرياليّة؟

أشعرُ أنّنا لسنا مؤهّلين للقيام بذلك فقط، بل ملزَمون به. أنا لا أعتبر الجرائمَ الإمبرياليّة أحداثاً ماضية؛ فهي لا زالت فعّالة في واقع الإمكنة، ولا يزالُ يتعيّنُ تفكيكُ وإلغاءُ المؤسّسات والهياكل والقوانين التي ما زالت تفعّلها. لا يُمكن للتّاريخ أنْ يُولّد المعجزة التي يتوقّعُها منه مهندسو الإمبرياليّة — أنْ يجعلونا نُعتقد أنّ الجرائمَ الإمبرياليّة قد انتهتْ عندما أعلن الإمبرياليّون أنّهم انهوها. يؤدّي تقريرُك وظيفةً مُماثِلة، بحيثُ يحاول إبداعَ هذه الأحداث في ذمّة الماضي، حتى مع استمرارها في الوقت الحاضر.

يُجسّدُ تقريرُك، في الحقيقة، ما أقترحُ أنْ أسمّيه المنفى الرّابعَ لليهود الجزائريّين: محوهم مِنْ تاريخ استعمار الجزائر. يقدّمُ تقريرُك المكوّنَ من 160 صفحةً فقرتَيْن فقط عن الطّائفة اليهوديّة الموجودة في ما مضى في الجزائر. في الواقع، لم تكن ثمّة طائفةٌ واحدةٌ، بل طوائف يهوديّة-أمازيغيّة ويهوديّة-عربيّة متعدّدة ومتنوّعة. ولم يُجبروا على أن يصبحوا وحدةً متجانسةً قسراً إلّا عبر الجريمة الكولونياليّة ضدّ الإنسانيّة، تمهيداً لمحوها كلّيّاً. إنّ تصفيةَ هذه الطوائف، التي تبلغ عراقتُها ألف عام، أصبحتْ بالتّالي حدثاً غير مهمّ، لا حدثاً، في تقريرك، وتمّت صياغتُها على أنّها علامةُ تقدُّم. لم يتمّ ذكرُ الجرائم المرتكبة ضدّهم: المَنافي الثّلاثة، معاداة السّامية الأوروبيّة المستوردة، إعادة التّربية القسريّة، فصلهم عن ثقافاتهم، حبسُهم في معسكرات اعتقال جزائريّة.

إنّ طمسَ هذا التّاريخ يَعكسُ الصّفقات الكولونياليّة الّتي حوّلت هذه المَنافي إلى «إنجازات» مفترضة لليهود، بإدخالِهم إلى عالَم الحداثة العَلمانيّة المستنيرِ. وبهذه الطريقة، زوّدت دولة فرنسا بـ«دليل» عِلميٍّ على أنّ استعمارَها أستهدفَ المسلمين والأمازيغ حصراً (على أساس أنّ الأخيرين يُفترَض فيهم أنْ يَستبعدوا اليهود). لهذه الإغفالات عواقبُ وخيمة. بعدما تأثّرتُ بالمشروعَيْن الكولونياليَّيْن الفرنسيّ والإسرائيليّ للهندسة البشريّة، لم أتمكّن مِنْ تجميع قصّة يهوديّتِه في بيته، خاصّةً وهو يمارس مهنتَه. لقد أثبتُ بالفعل، في كتابك، هذا النّوعَ مِنَ الوطنيّة الفرنسيّة عبر تصوير هذه المَنافي الثّلاثة لليهود كأحداثٍ ماضية، وموضوعاتٍ للبحث التّاريخيّ. ومع تحوُّل حياتهم المشتركة مع المسلمين إلى ماضٍ مضى، فمِنَ المُمكِن دمجُهم في التّاريخ الأوروبي. أما نابَليه، فقبول مرسوم كريميُو كما تصوّره مهندسوه — باعتباره مَنحاً ليهوديّة، أكثر مِن استخدام أحاديٍّ للقوّة. وهو ما كان له دورٌ فعّالٌ في تدمير أنماط حياتهم المتنوّعة. يُغفِلُ هذا التّصويرُ كيفَ سُرِقَ مِنَ اليهود تراثُهم وعالَمُهم وتقاليدُهم. ويَفترض تالِيُها أنّ فرنسا قامتْ بالفعل بتسويةِ ديونِها تجاه «الشّعب اليهوديّ» كموضوع تاريخيٍّ في عام 1995، عندما اعترفتِ الدّولةُ بمسؤوليّتِها عن ترحيل اليهود مِنْ فرنسا في الحرب العالميّة الثّانية. ناهيك بأنّ جرائمَ فيشي ضدّ اليهود الجزائريّين حدثتْ في الجزائر وأنّ حياتَهم في الجزائر لا يمكنُ نقلُها بأثرٍ رجعيٍّ إلى فرنسا.

> فكّكت الأرشيف الفوتوغرافي الاستعماري وفضحت تعاضد القوى الكولونياليّة في تدمير النسيج الاجتماعي للدولة

بقَبول هذه الصّفقات، فإنّ تقريرك يُقدّمُ نفسَه على أنّه تاريخٌ غيرُ متحيّز، محايدٌ، يَعملُ على تعزيز مهمّةِ الدّولة بإخلاص. ولكنْ، هذه هي المشكلة بالضّبط. لا يوجدُ شيءٌ مستوفٍ للشروط القانونيّة في التّعامل مع جرائم الإمبرياليّة. لقد اخترعتِ الإمبراطوريّةُ الماضيَ وكلّفتْ أمناءَ الأرشيفات والمؤرّخين بتحويل جرائمها إلى موضوعاتٍ لتحقيقٍ تاريخيٍّ غير متحيّز. حتّى إنّها تَوَظّفُ ضحاياها ليَقولوا إنّها لم ترتكبْ أيّ جريمةٍ ضدّهم. ولمقاومة هذا المحو الإمبرياليّ، لا ينبغي للمرء أنْ يكونَ محايداً؛ يتعيّنُ علينا، خصوصاً، المطالبةُ بأنْ يُكتَبَ التّاريخُ بأيدي ضحايا هذه الجرائم. حصراً أولئك مِنْ بينهم الّذين يرفضون النّسيان، والّذين يمكنهم التّحدّثُ مِنْ هذا المنطلَق، فهُم في وضع يسمحُ لهم بإبطال عملِ الإمبراطوريّة وتعزيزِ قضيّة ما أسمّيه نَبْذَ طِباع الإمبرياليّة. ولا ينبغي السّماح لأيّ مؤرّخ بارتكاب مثل هذه الإغفالاتِ الكُبرى. ولا ينبغي لك أنْ تفترضَ أنّ ضحايا الجرائم الكولونياليّة وأحفادَهم يوافقون على هذه الصّفقات الّتي كان معناها، وما يزالُ، تصفيةَ عالَمهم المتنوّع.

وبدلاً من خدمة هذا المشروع الإمبرياليّ، كان حريّاً بتقريرك أنْ يُقدّمَ بلا هوادةٍ قائمةً فيها مِنْ تفاصيل الجرائم الفرنسيّة المرتكبة ضدّ الجزائريّين ومِنَ الجرائم الكولونياليّة ضدّ الإنسانيّة. كان لذلك أنْ يرسمَ خريطة العلاقات بين هذه الجرائم والمؤسّسات الإمبرياليّة — الشّرطة، السّجون، الرّاسماليّة العنصريّة، الأرشيفات، المتاحف، المواطنة الممنوحة وغيرها — الّتي مكّنتْها مِنْ تسهيل حدوث عواقبها المستمرّة في فرنسا، ولا سيّما تجاه الجزائريّين، المستهدَفين في آنٍ مِنْ قِبَل دولةٍ تعاني مِنْ رُهاب الإسلام وتمارسُ معاداةَ السّاميّة. ولو كنتَ استجبْتَ لهذه الدّعوة، مؤكّداً على موقفك كعربي يهودي ضحيّة لِلاستعمار الفرنسيّ للجزائر، لكنتَ طالبتَ أيضاً أنْ نُشارِكَك معك في تأليف التّقرير فرنسيٌّ مسلمٌ مِنْ أصول جزائريّة. كان مِنَ الممكن أن تكونَ تلك فرصةً لتكوين صورةٍ أكمَلَ للجرائم الإمبرياليّة وعواقبها المتبقّية، وقلبِ المنفى الخامس لليهود، أي قَلبِ المنفى الجديد الّذي وجدوا أنفُسَهم يتقاسمونَه خارجَ وطنِهم، في فرنسا. بهذه الكَلِمات، كان يمكن حتّى لتقرير رسميٍّ أنْ يزوّدَ أحفادَنا بالموارد اللّازمة لمواصلة العمل مِنْ أجل إلغاء الإمبرياليّة. وبدونِها، فإنّ تقريرك لا يؤدّي إلا إلى ترسيخِها.

الرسالة المفتوحة، على الرابط التالي:
https://www.bostonreview.net/articles/ariella-aisha-azoulay-benjamin-stora-letter/

طوفان الأقصى

التراث الفلسطيني «بارودة» لا تصدأ في المعركة الكبرى

لا توفر الصهيونية جهداً إلا وتبذله في سبيل القضاء على تراث فلسطين وفولكلورها واطعمتها واغانيها والرقص الشعبي وكل ما يُثبت تجذّر الإنسان العربي فيها منذ اقدم العصور في حملة ممنهجة لإخفاء وجه البلدان واعرقها واقدمها في مدائنها واريافها وتقاليدها السابقة على الخرافات الصهيونية. حملةٌ هدفها قتل بشرها وتدمير حجرها وغرز الصواريخ في لحوم اطفالها وابريائها. إنّ حفظ التراث وإحياءه واستلهامه هو عملية فائقة الاهمية يُقصد منها الحفاظ على الصفات القومية والوطنية لشعب من الشعوب، وما دأبُ إسرائيل في طمس التراث الذي ينتقل بالذاكرة او المعارسة إلا محاولة بائسة لقتل حيوية شعب مبدع في كل عدة المواجهة بدءاً من الكلمة والاغنية مروراً بالرقصة والحداء والاهازيج والازياء والفولكلور وليس انتهاء بالانفاق والطائرات الشراعية وقذائف «الياسين» التي تبدو اليفة بين يدي ابطاله مثل اوانيِ المطبخ الفلسطيني والتطريز البديع على فساتين النسوة. لم ينتظر الفلسطينيون الرحالة الغربيّين والمنظمات الغربية الخيرية ليجمعوا تراث بلادهم، بل جمعه موّرخوهم وادباؤهم من فكتور سحاب ونمر سرحان ونضال فخري وغسان كنفاني وغيرهم، فصار من عدّة المواجهة الناجعة في وجه آلة القتل والتنكيل والمصادرة. فهذا الشعب العنيد لن يسمح ان تُدفن بصمته الحضارية وإسهاماته الإنسانية تحت الركام لتتناوله الدراسات الانثروبولوجية والأثرية: الشعب الفلسطيني هو تلك المرأة التي تطوّف الزيتونة حين تقترب الجرافة لتقتلع الحقل، هو اولئك الاطفال باغانيهم الضاربة في التاريخ، يغنّون لكلّ من يملأ اكفّهم الصغيرة بحبوب القمح، ويحملون بنادقَ أبائهم حين يغتصب المحتل بيوتهم وبيَاراتهم وملاعب طفولتهم وزيتونهم وحقولهم، هو ذلك الفداني والمقاوم الذي يزهو السلاح في كفّه كما تزهر اللغة في كلماته وبياناته التي ينتظرها كل متعطش للكرامة من الخليج إلى المحيط. نستكمل في «كلمات» جمع التراث الفلسطيني في مدنه واريافه، فالتراث «بارودة» لا تصدأ في المعركة الكبرى بين الحضارة والهمجية على كامل التراب الفلسطيني.

تقديم واختيار **محمد ناصر الدين**

مراسم الخطبة في رام الله

الخطبة او – الحطط او الصفاح – من التقاليد المتَّبعة في رام الله وسائر مدائن فلسطين ويجتمع الرجال في بيت والد العروس ليتم الإيجاب والقبول. ويتّجهُ موكبٌ كبيرٌ من قريبات العروسين والجارات ونساء القرية إلى منزل والد العروس. وتحمل قريبات العريس أطباق القش التي يوضعُ عليها القهوة والسكّر والكعك. ويطوف الموكبُ في الحارات بينما تزغردُ النساء ويغنين:

وأحنا جينا عَزومة مش حَنا الله
وع صيت أبو فلان في رام الله

وقد يُدفعُ المهرُ يوم الخطبة أو بتأخّر، ويتفاخرُ أهل الريف بمبالغ المهر التي يدفعونها في سبيل الزواج. ويظهرُ ذلك في هذا البيت من «الدلعونا»:

وْعَ الزنزلختة وْعَ الزنزلختَه
ريتك يا حلوة من خَطي وبختي

بدّك أبادل بَبادل بأختي
بدّك مصاري بدّفعْ مَليونا

ويردُ ذكر المهر والبدل في الكثير من الأغاني الشعبيّة ومنها هذان المقطعان اللّذان يوردان معنيين متقابلين حول هذا الموضوع:

على دَلّعُونا يا مُدَلّعنيّة
وصاروا يُطلبوا في البنت ميّة

صاح العزّابي يَمّا يا بَبّي
مُتلي مصاري أجيب المْزيونا

■■■

بَداري في محبَّتكم بَداري
بلّي أبْوابُكم تفتّح ع داري

وخطّ أخْتك لخُوي بدالي
وهذا الرايْ عِندي والجوابْ

الحداء والسامر في نابلس جنوب فلسطين والقدس

في ليالي ما قبل الزفاف وعلى المسرح المكشوف، يجتمع أهل القرية والضيوف. يجلسُ الكبار في السنّ على الفراش – على الأرض – أو على حجارة البيادر، وفي أحسن الحالات يكون هناك عددٌ محدودٌ من الكراسي. ويصطفّ جمهور المشاهدين على شكل قوس كبير وكلٌّ منهم يتابَط ذراع الآخر. وفي الوسط، يقف الحدّاء يتمخترُ أمام الجمع ويقودُ فقرات السهرة وهو يروحُ ويجيء بحركاتٍ خفيفةٍ راقصةٍ ويلوّحُ بعصا أنيقة. أمّا الإضاءة، فكانت في السابق عبارةً عن نار تشتعلُ طوال الوقتِ في أكوام هائلة من الحطب ثمّ حلّت محلها مع زمن «اللوكسات» (جمع «لوكس» وهو مصباح كبير) وحبال الأنوار الكهربائيّة. وتبدأ الحركة الغنائيّة بـ «طلعة» من لازمة «يا حلالي يا مالي» مثلاً. يقول الحداء:

يا حلالي يا مالي

ويردّدُ الجمهور اللازمة، ثمّ ينطلقُ الحداء:

اسْمَع لقولة باب اليف (الألفباء) اللي عْ حُروف الألفيّة
يا حلالي يا مالي
ع البا ابتلينا بالهوى ازْتمينا بْعشرة قوية
يا حلالي يا مالي
عْ التّا توّهْ دليلي يا ابو العُيون الغطيّة
يا حلالي يا مالي
عْ الثّا ثلاثة وتسْعة راجن مْنِ ظْلوعي سويّة
يا حلالي يا مالي
ع الجيم جْملكْ بارخْ وقومي ازْكَبي يا بنيّة
يا حلالي يا مالي
ع الحا حلّو المباسم هالبَعد رُوحي وعينيْ
يا حلالي يا مالي
ع الخا وخْلَخْل ظْلوعي وخلّاهِن شبيه الميّة
يا حلالي يا مالي
عْدال دلّوني بالبير وقطعو الحبْل بيّة
يا حلالي يا مالي
علرا يا رنّة خْجولّو شبْه الرُّعود القويّة
يا حلالي يا مالي
غلّسيتْ سَبا لعَقْلي هلّبعدْ روحي وعينيْ
يا حلّالي يا مالي
علشين شالتْ ظْعونُه عَلى حوران الغدّيّة
يا حلالي يا مالي
علصداد صادني بالشّرك نصب لي حيلة قويّة
يا حلالي يا مالي

ابتداء من جنوب نابلس حتى أقصى جنوب فلسطين راجت في ليالي السحجة أغنيات عُرفت بأغاني السامر وهي تختلف عن الحداء من حيث الأداء واللحن. بينما ينتمي لحن يا حلالي يا مالي إلى جنوبي لبنان ومشارف سوريا، فإنّ السامر بأنواعه ينتمي إلى لحنٍ بدوي، وهو يزدادُ اقتراباً من النغمة البدويّة كلّما اتّجهنا إلى الجنوب والشرق. والمعروف أنّ الأمطار والحياة الاقتصاديّة عموماً تبدأ بالتضاؤل كلّما اتجهنا إلى الجنوب والشرق، وتزدادُ ملامح نمط الحياة البدوية.

المثال الأوّل من أغاني السامر هو الرائج في جنوب فلسطين ومنطقة القدس ورام الله. ويقف في هذا النوع من السحجة صفان متقابلان من الرجال يلتصقُ كل منهم بالآخر من دون أن يتابط ذراعه كما هي الحال في السحجة الشماليّة. ويقف أمام كلّ صفٍّ من الصفّين حدّاء وبيده عصا. والحداء هنا شيء للمهر فقط، فالحوار يتمّ بين الصفّين المتقابلين، وما دور الحداء إلّا المنسق. فهو يقومُ بحركاتٍ بهلوانيّةٍ محمّساً جماعته ويصفّق معهم على المقطع الذي سيسهمون به في الوقت الذي ينهمكُ الصف الآخر بترديد مقطعه. يقول أحد الفريقين مثلاً وهو ينحدرُ منحنياً باتّجاه الأرض في حركة نصف ركوع:

أوّل كلامي يَصلّي ع النبي الهادي

ويكرّرُ الفريق المقابل. ثمّ يعود الفريق الأوّل ليردّد نفس المقطع، ويكرّرُ الفريق المقابل ثمّ يبادرُ الفريق الأوّل بإلقاء شطرة جديدة:

محمّد اللّي عليه النّور برْيادة

ويكرّر الفريق المقابل. إلّا أنّه بعد دقائق، يبادرُ الفريق الثاني إلى إلقاء مقطعٍ جديدٍ من عنده بالتفاهم مع قائده كأن يقول:

مسّيك بالخير ويالليل جاي ومْتغنّي

ويقول الطرف الآخر بعد التكرار:

مسّيك بالخير ميّل ما عليك منّة

ثمّ يتناوب الطرفان تكرار عددٍ كبيرٍ من الشطرات تكادُ تكون معروفةً ومحدودة:

يا زايرين النبي وشْ وضفةِ حُجاره
سعيد مِنْ راح لحَرَمْ النبي وزاره
يا زايرين النبي وشْ وضفةِ المفتاح
سعيد مِنْ راح لقَبْر النبي سوّاح
يا زايرين النبي وشْ وضفةِ القبّة
يا سعِدْ مِنْ راح لقَبْر النبي وحبّه

وينتقل السامرون من موضوع إلى آخر من المديح النبوي إلى المرأة التي تستأثر بقسم كبير من فقرات الحداء:

يا بنت أمير العرب يا ام العباية السودا
وابوك شيخ العرب حاكم على العوجا
غزلان بأرض السهل يمشنّ ويرعين
معهن طلاحي وزقِ طول الليل يقرين
وحلمت يا زين انّك بالمنام عندي
وابيض من القطن وانعم من حرير هندي
هبّ الهوا بالباب قلت الريح جاب أخبار
خلّيك يا قلب ع فراق الوليف صبّار
سلّم على حبيبي يلّي تروح عنده
سلّم عليه بالوما لا يسمعك زنده

الدبكة في الجليل وحيفا

الدبكة رقصة شعبية تعمّ بلاد الشام بأجمعها. وقد برزَ فيها أهل فلسطين، ولا سيّما سكّان الجليل وكرمل حيفا. وتتمّ هذه الرقصة على أنغام الشبابة أو المِزهر أو المِزمار » أو العازف في وسط الحلقة ليعزف المقدمة فيتنادى الشباب إلى حلقة الدبكة ويتسابقون إليها. ويقف اللويح – أو القائد – وينضم إليه الشباب الذين يشبك منهم الواحد ذراعه بذراع الآخر، تاركين أذرعهم ممدودةً أفقيّاً ومتشابكة، أما المبتدئون فيصطفون في ذيل الحلقة محاولين جهدهم أن يتعلّموا. ويسمى الأخير منهم «على الحجشة».

عمل للفنان الفلسطيني الراحل عبد الحي مسلم

ويستطيع اللويح الانفصال عن المجموعة والعودة إلى الحلقة المفتوحة وقتما يشاء. وعندما تبدأ الدورة ينطلق مغنٍّ بطلعة دلعونا أو جفرة أو زريف الطول، حق إذا ما انتهى من الغناء حمى وطيس الدبكة وتصاعدت أصوات تدل على فرط الانسجام مع الرقص مثل «تَهْ تَهْ تَهْ» أو «انزل» أو «أربط». وفي العادة، يمسك اللويح بمنديل أو بعصا قصيرة يلوح بها ويثني ذراعه وراء ظهره وهو يطوي جسده ويثنيه بمهارة وحيوية فائقة والشاب «المتعنتر» يرفض أن ينزل إلى الدبكة إلا لواحاً أو تحت يد اللويح. ومن أنواع الدبكة الشمالية، نسبة إلى شمال فلسطين وتتم هذه الدبكة على أكثر من عشرة أنواع من لَيّ الرجل اليمنى وثنيها. وهناك الغزالة وتتم بثلاث ضربات شديدة بالرجل اليمنى. ودبكة الطيارة تعتمد على خفة الحركة وسرعة القفز وقد يقفز اللويح أكثر من خمس قفزات. وكثيرون هم الذين يخرجون من هذه الدبكة ولا يصمد فيها إلا القليل لأنها مجهدة. وهذه الدبكة قديمة تعود أصولها إلى أقدم العهود، وقد بقيت في تطوّر واستمرار حتى يومنا هذا، وهي تعكس حيويّة الشباب وانطلاقهم. وتشبه الخليليّة الطيّارة في كونها دبكة مجهدة وتحتاجُ إلى مزيدٍ من الاهتمام والانضباط.

وتكون البداية لمعظم الدبكات متشابهة وهي عبارة عن حركة تشبه «خطوة تنظيم» وعندما يطلع المغنّي مع العزف في أغنية كهذه:

مرّت في الحارة تمشّي وتزومي (تتمختر)
اليظهر ع دار الفرح معزومة
للكبرة يا عالم مافشّ لزوم
وما أحلا التواضع للّي يحبّونا

وفي آخر الأغنية، يكون اللويح قد انفرد، وعندما يرى أن حركات الأرجل لها نغمٌ واحدٌ يقول: دَبّح. وتبدأ التربيحية بحركةٍ خفيفةٍ للأمام والخلف بالأقدام. وبعد ثوانٍ يقول اللويح «اطلع» ويبدأ تكنيك الدبكة.

الرقص في قلقيليا والجليل

- رقصة بدّر: هي رقصة فلسطينيّة صميمة يُعتقد أنّها نبعت من بلدة قلقيليا. وتتسم هذه الرقصة بطابعٍ خاص يختلف عن الدبكة إذ يقف صفّان متقابلان من الراقصين ويردّد كل منهما مقطعاً من أغنية «بدّر قمرنا بدّر» ويردُّ عليه الطرف الآخر. ثمّ يبادر الطرف المقابل بترديد مقطع جديدٍ من الأغنية. ويضربُ كلُّ فريقٍ الأرض بالقدمِ اليمنى مرتين ثم يثني الساق اليسرى على الساق اليمنى. وللقارئ مقطع من أغنية بدر التي تصاحبُ الرقصة:

بدّر قمرنا بدّر
واشْرَفْ علينا لَلدّار
وْنعيني شُفّت المحبوب
عْ الفرشة حَلّ الزّنّار
وْنعيني شُفْتُه شُفْتُه
بالحمرة سابغْ شُفْتُه
صدْرك يُومنْ كَشْفَتُه
فاحتْ علبة العطّار

- رقصة السامر: يصاحبُ غناء «السامر» اهتزازات الجسد وصفقة بالكفين، فبعد أن ينتهي صف السامر من ترديد المقطع يكون قد انتهى من الحركة الراقصة والتي هي عبارة عن انحناءة وضرب الأرض بالقدمين ثم الاعتدال ثانية.

- رقصة الخيول والجمال: وهي أقدم ما في فلسطين من تراث عربي فني حيث يسجل لنا التاريخ الاستعراضات العربيّة الفنيّة لمثل هذه الرقصات في أفراحهم واستعراضاتهم. وهذه الرقصة معروفة في أقصى جنوب فلسطين حيث تُدرّب الخيول والجمال كما يريد أصحابها منذ الصغر على الاستجابة لنداءاتهم وللرقص.

- رقصة الجلوة: تتجلّى العروسُ عادةً أمام عريسها وهي تحملُ بيديها شمعتين ويكون الرقص هذا هادئاً لا تهزُّ فيه ردفيها إلّا بحركةٍ خفيفةٍ إن دعت الضرورة. وتعتمدُ على حركات الجذع. وأهمُّ حركاتها هي حركات اليدين اللتين تحملان الشموع الموقدة.

- رقصة السيف: وهي منتشرة في أماكن متعدّدة، وخصوصاً المناطق البدوية. وفيها تنزل المراة في حلقةٍ كبيرةٍ من الرجال ومعها سيف ترقص به. ويحاول كلّ منهم لمسها إلا انها تتّقي لمسته بالسيف. ولا يغامر أحدهم بالاقتراب منها إلا إذا أمن ضربة السيف وعندئذ يُقال: «علّم فلان على فلانة». والراقصة الماهرة هي التي لا يمسّها أحد. والرقصة في الواقع تعبيريّة رمزيّة تشير إلى الجنس برموزٍ واضحة. وهذه الرقصة آخذة بالاختفاء السريعِ والانقراض. وقد مارست الراقصات المحترفات هذه الرقصة في السججات في أنحاء فلسطين.

- رقصة حبل المودَع: وهي رقصة معروفة في الجليل وفيها يصطف الرجال والنساء والتعاقب في حلقة ويديكون دبكة قريبة من الدبكات الشمالية ويصاحبها غناء مرح.

تراث ادبي للاطفال والعمال في مناطق فلسطين الزراعية

تبرز أغنيات الأطفال يوم الانتهاء من أعمال البيدر وتصفية المحصول وتكويمه في كومة كبيرة تسمّى«الصلبية»، إذ يجتمع أطفال الحارة ويتقدمون من صاحب «الصليبية» طالبين منه شيئاً من الحبوب وذلك ليهرعوا إلى الدكّان فيستبدلوها بأنواع من السكاكر، وبعد أن يفرّغ كل منهم ما في طرف ثوبه يغنّي:

الله يعطي اللّي أعطانا
ويطعمه من منّانا

وتراهم يهزجون في الحالة المخالفة إذا رفض صاحب البيدر أن يمنحهم شيئاً:

الله يحرم اللّي حرمنا
ويحرمه من منّانا

وكذلك يمكن أن يُقال بالنسبة إلى أغنية الأطفال المشهورة عن «دود الصيف»، فالمعروف أن الأطفال القرويين، وخصوصاً في الصيف يهيمون على وجوههم في «الحواكير»، والحقول القريبة وفي الطرقات يتسلّون بأي شيء... في اللعب... وقطع الأزهار البرية... والعبث بالأعشاب... والركض وراء الفراش وحتى وراء النمل، ودود الصيف. وإذا ما رأى الأطفال ثقباً يخرج منه النمل، فإنهم يتجمّعون حوله بقصد اللعب والعبث ويأخذون في معاكسة النمل وتحدّيه وذلك لما يرون في هذا العمل من متعة غامرة. ويسود الاعتقاد لدى الأطفال القرويين أن النمل يرقص بفعل الغناء كما يرقص الآدميون الذين يرونهم في الأفراح الشعبية. ولكي يوحوا إلى النمل بالرقص، فإنهم يأخذون في الرقص والغناء حول الثقب الذي يخرج منه النمل ويهزجون:

حرقص برقص قوم ارقص يا دود الصيف
اوْعَ تْشغبط علينا يا دُود الصيف

■■■

واحد اتنين بالتركي
يا مقصوفة ما أحسنك
ما أحسن دقة خلخالك
الزين واقف قدامك

وما من شك في أن الأطفال حفظوا مثل هذا الغناء عن الكبار وعلى وجه العموم، فإنّ أغاني الصغار تتناول أغراضاً عادية وبسيطة تحمل طياتها رغبة الأطفال باللعب والتمتع بظواهر الطبيعة الواضحة كالمطر والشمس والقمر واحتفالات العيد وغيرها كما في النصوص الآتية:

اشتي يا دنيا وزيدي
بيتنا حديدي
عمنا عبد الله
رزقنا على الله

■■■

شمسي يا الشميسة ع عروق عيشة
عيشة بنت البابا بتلعب ع الشبابا
ولا ينام الطفل إلا بعد أن تغني له تهويمات خفيضة حنونة تتملّق رغبته في النوم وهدوءه ونعومة أطرافه كهذه التهويمة:

نِنّي يا عين محمد يا عين الحمام
محمد بدُّو ينام ع ريش النعام
نار الحطب تنطفي نار الحبايب دوم
وأهل الغريبة سكارى ما عليهم لوم

ولهم أغاني الختان باسم «الشلبي» وتجتمع النسوة لتغني للطفل الذي سيُختن ذلك اليوم. وبينما يقوم «الشلبي» بمهمته تغنّي الأم والجارات والصديقات:

طهّره يا شلبي وناوله لْخاله
يا دموعه الغالية نزلت ع خلخاله

بينما تتسم أغنيات العمل بلحنها السريع وموسيقاها التي تساعد على الترفيه عن النفس كما في الأغنية التي يرددها قاطفو الزيتون:

حبة قضامي
فيها اللظامي (التتابع)
يا مين يتقظم (يتسلى)
يا فلان يتقظم
عليش يتقظم
على وزّة محشية
وبالسمن مقلية
يوكلها ويجوّد
وعالزيتون يهوّد (ينزل)

ولم تكن التسلية وحدها مبتغى المغنّين أثناء العمل، بل عكسوا في أغانيهم انطباعاتهم عن التعب والشقاء والعمل كضرورة لثلاّ يمد المرء يده للآخرين مستجدياً أو مستديناً أو خوفاً من أن يبيع أرضه أو بقرته، وهي وسائل إنتاجه التي يحتاج إليها في معيشته ومعيشة أطفاله، وفي هذا المعنى يقول المغنّي الشعبي:

لألقط بإيديي الثنتين
من خوف العارّة والدّين
لألقط بصابيعي العشرة
من خوف أبيع البقرة

وإذا أرادوا إكرام ضيف مميّز غنّوا:

ع اليوم يا بقرتي لبنك رباعيه
لأحلب ومَنّي وأسقي الأفندية

أما رغبتهم الجامحة في امتلاك مختلف الأطعمة التي حرمتهم منها الحرب، يقول الشاعر:

شوبّة فسيخة جاتني حافية على القدم
طلبت لحربي في حومة الميدان
سحبت سيف من فجل ودبّوس من بصلْ
نزلت أحاربها بالرغفان
هجمت على الطابون طارت غطاته
فزع عليي باكبر الرغفان
ثمانين رغيف اللي انا أكلتهم
غير المحروق ويلي طابله غْفان

وحين يموت المزارع أو العامل يدفن في السهل مع بارودته فتندب النادبة:

طلّت البارودة والسبع ما طلّ
يا بوز البارودة من الندى منبلّ
بارودته بيد الدلال ربيتها
لا عاش قلبي ليش ما شريتها
وبارودته لقطت صدى ع قرابها
لقطت صدى واستوحشت لصحابها

المرجع: نمر سرحان، «أغانينا الشعبية»، منشورات دائرة الثقافة والفنون، عمان، 1968.

طوفان الأقصى

مبدعو إيرلندا من أجل فلسطين

سعيد محمد

ثمة تماهٍ شعبيّ عميق وعريق في إيرلندا بضفّتَيها المحتلّة والحرّة مع النّضال الفلسطيني. تعمّقت علاقات التضامن الكفاحي بشكل خاص بين المنظمات الفدائيّة اليساريّة والجيش الجمهوري الإيرلندي خلال مرحلة الثورة الفلسطينية في السبعينيات والثمانينيات على نحو لا تزال أصداؤه في الشارع الإيرلندي حيّة إلى اليوم، حتى لا يكاد يخلو زقاق في أحياء بلفاست الكاثوليكيّة (الخاضعة للاحتلال البريطاني) من جداريّات تربط مقاومة الشعبين الفلسطيني والإيرلندي، فيما يبدو مألوفاً مشاهدة الأعلام الفلسطينية جنباً إلى جنب مع الأعلام الإيرلنديّة في كل أنحاء الجزيرة، بما في ذلك مباني البلديات، وحتماً في المسيرات الشعبيّة الأسبوعيّة الضخمة المؤيدة للفلسطينيين التي تشهدها العاصمة الإيرلنديّة ومدن أخرى منذ السابع من تشرين الأوّل (أكتوبر) 2023. انسحب هذا الموقف الشعبي المتقدّم على طبقة المثقفين الإيرلنديين، كتّاباً وشعراء وفنانين وموسيقيين، فانخرط أبرزهم على مدى الأسابيع القليلة الماضية في فعاليّات ثقافيّة وأدبيّة بمشاركة من كتّاب وأدباء فلسطينيين جابت مدن إيرلندا من بلفاست عاصمة الشمال المحتل، إلى دبلن عاصمة الجمهورية، مروراً بكورك وغالواي، إضافةً إلى أمسية في لندن. خصّص ريع هذه الأنشطة لدعم جمعيّة تتولى تقديم العون الطبيّ إلى الفلسطينيين. ووفقاً للمنظمين، فقد نفدت تذاكر أغلب الفعاليات في أقل من ساعة واحدة على طرحها، ما مكّن من جمع أكثر من 30 ألف يورو.

وشارك في الفعاليات التي نظّمها تجمّع «كتّاب إيرلنديون من أجل فلسطين»، وتجمّع «شعراء إيرلنديون من أجل فلسطين»، بالتعاون مع مظلّتهم الجامعة تجمّع «فنانون إيرلنديون من أجل فلسطين»، ألمع الأسماء في سماء الثقافة الإيرلنديّة: بمن في ذلك سالي روني، وآنا بيرنز، وكيفن باري، وبول لينش، ودوريان ني غريوفا، ونيكول فلاتري، ومارك أوكونيل، إلى جانب الفلسطينيين أحمد مسعود، وفادي جودة، وبانا أبو الزلف. وترافقت القراءات مع مشاركات من عازفين موسيقيين مرموقين من إيرلندا. ويقول المثقفون المشاركون في هذه الأنشطة بأنه إلى جانب جمع الأموال من أجل مساعدة سكان غزّة، يأملون بأن يكون لصوتهم دور محفّز للجمهور سواء في إيرلندا أو حول العالم، لفعل شيء من أجل وقف المذبحة المستمرة في القطاع منذ حوالى ثمانين يوماً، وذهب ضحيتها إلى الآن أكثر من عشرين ألف شخص نصفهم أو أكثر من الأطفال. وقد قصد تجمّع «كتّاب إيرلنديون من أجل فلسطين» إشراك كتّاب ومبدعين فلسطينيين في كل أنشطته، كرسالة في الرّد على القمع الذي تواجهه الأصوات المتعاطفة مع النضال الفلسطيني سواء في الأراضي العربيّة المحتلة، أو في أوروبا والولايات المتحدّة.

الكاتبة الشهيرة سالي روني، التي اعتذرت في عام 2021 عن عدم منح حقوق ترجمة رواياتها الواسعة الانتشار إلى العبريّة لناشر إسرائيلي التزاماً منها بالمقاطعة الثقافيّة للكيان العبريّ، لم تتمكن من المشاركة شخصياً في أمسية دبلن بسبب إصابتها بكوفيد 19، لكنّها ارتأت أن تعوّض جمهورها عبر الفيديو، فقرأت لهم مقتطفاً من «رسالة من غزّة»، وهي قصّة قصيرة كان كتبها القائد الفلسطيني الشهيد غسّان كنفاني (متوافر على موقعنا).

بدورهم، نظّم شعراء إيرلنديون من أجل فلسطين أمسية للغايات النبيلة ذاتها استضافتها إيرين فورنوف وشارك فيها شعراء إيرلنديون وفلسطينيون هم: نيدهي زاك/ أريا إيبي، وإيليان ني تشويليانين، وشون هيويت، وجيسيكا ترينور، وماجد مجيد، ومصطفى كشكية، وجين كلارك، وستيفن ريّا. ورافقت القراءات موسيقى شجيّة عزفتها فرح إيل.

وكان تجمّع «فنانون إيرلنديون من أجل فلسطين» قد افتتح صفحة خاصة على موقعه لبيع القمصان المؤشرة بشعارات تحيي غزّة والشعب الفلسطيني يُرصد ريعها بالكامل لجهود العون الطبيّ في الأراضي المحتلة.

Samedi 23 Decembre 2023 no93
السبت 23 كانون الأول 2023 العدد 93

القوس

www.alqaous.com

8 صفحات

ملحق أسبوعي مخصّص للعدل والإنصاف يصدر مع الأخبار كل سبت

كيف يُدين العلم جرائم الحرب؟ [4-5]

الهيلاد

(من الويب)

جرائم الاحتلال

وجهان يبكيان

الأب اميل يعقوب

يحضر يسوع الطفل إلينا كل سنة في مثل هذه الأيام ليذكّرنا بأن المسيحيّة قامت على أعتاب مذود البهائم، وأنّ تاريخ الحضارة انقسم بين ما قبل ميلاد يسوع المسيح وما بعده. وسيرة يسوع الطفل إلى سن الإثنتي عشرة ترتكز حول ميلاده في بيت لحم من بلاد فلسطين، ثمّ ذهابه مع والدته مريم والمربي يوسف الصدّيق، إلى بلاد مصر تجنّبًا لبطش هيرودس، الملك الذي أراد قتله وقتل كل الأطفال دون السنتين من العمر.

ولا شكّ في أنّ العائلة المقدّسة اتخذت طريقها إلى مصر مرورًا بمدينة غزّة العريقة، وهي الطريق الساحلية القديمة التي وُجدت من قديم الأزمنة، وقد بناها الكنعانيون وهم أوّل من سكنها، كما يشير إلى ذلك «قاموس الكتاب المقدس» (منشورات مكتبة المشعل في بيروت الطبعة السادسة 1981). وقد أطلق الكنعانيون عليها اسم غزّة الذي معناه باللغات الساميّة القديمة «القوّة». وورد ذكرغزة في رسائل تل العمارنة (هي مجموعة كبيرة من الألواح الطينية باللغة الأكادية البابلية في القرن الرابع عشر قبل الميلاد).

وعلى الأرجح أن مريم ويوسف والطفل يسوع استراحوا في غزّة وباتوا فيها ليلتهم قبل متابعة مسيرتهم إلى مصر. إذ كانت غزة محطة استراحة للمسافرين بين مصر وبلاد الشام.

في الأحداث الدموية التي تدور رحاها في غزّة اليوم، نكاد نرى يسوع محمولًا بين ذراعي أمّه مريم، «وجهان يبكيان» كما هي حال أمّهات غزّة وأطفالهن. يموتان معهن، ويقومان معهن من تحت الأنقاض نتيجة القصف الإسرائيلي الهمجي، أشلاءً أو أحياء في مسيرة «القوّة» التي اشتهر بها الغزّاويون. إنّهم يكملون مسيرة حياتهم على درب الجلجلة، لتبقى لهم الأرض وما تنتجه تربتها من قمح وبرتقال وعنب وتين وفاكهة وخضار مختلفة. هذه أرضهم يسيرون عليها مسيرة أجدادهم ولا يرعبهم أمثال هيرودس ولا حلفاء هيرودس من الشرق أو من الغرب.

> **هذه ارضهم يسيرون عليها مسيرة اجدادهم ولا يرعبهم امثال هيرودس ولا حلفاء هيرودس من الشرق او من الغرب**

ومسيرة يسوع الطفل مستمرّة بين بيت لحم وغزّة ورفح ومصر، وعودته يافعًا إلى الناصرة وجليل الأمم، وشابًا ينطلق برسالته من كفرناحوم وكفرشوبا وشبعا وسهل الخيام وكوكبا مرورا بمغدوشة إلى صيدا حيث لم يجد إيمانًا أقوى من إيمان المرأة الكنعانية التي أجابها يسوع: «ما أعظم إيمانك أيتها المرأة، فليكن لك ما تريدين» (متى 15 / 28).

وأقول لكم يا أبناء غزّة: نحن نؤمن أنّ المحبة أقوى من الموت، ومحبة بعضكم لبعض ستنشلكم من تحت الدمار ولن يكون للموت عينان بعد انقشاع الغبار عن مدينتكم واندحار جحافل الشرّ عنها.

وإننا نصلي.

هدايا العيد: قنابل وصواريخ على الكنائس والمساجد والقبور

باتت الآثار والاضرحة التاريخية والاماكن الدينية، تحديدا تلك التي بُنيت منذ آلاف السنين، اهدافاً عسكرية تتعرّض للقصف والتدمير المنهجي، وكان التاريخ هو العدو الذي يجب ان يُقضى عليه. الخطورة تكمن في العقليّة التي تقف وراء هذا التدمير المتعمّد وليس العرضي. لذلك حظيت اماكن العبادة وغيرها من المعالم التراثية والحضارية بمكانة خاصة في الصكوك الدولية التي اسبغت عليها حماية قانونية اثناء النزاعات المسلّحة الدولية وغير الدولية. وقد اكد إعلان اليونسكو لعام 2003 بشأن التدمير المتعمّد للتراث الثقافي على اهميته والالتزام بمكافحة تدميره المتعمّد بأي صورة من الصور. ليمكن نقل هذا التراث إلى الاجيال القادمة، ووجوب ان تتّخذ الدول جميع التدابير الملائمة اثناء النزاعات المسلحة، وفي زمن الاحتلال على نحوٍ يكفل حماية التراث الثقافي وفقاً للقانون الدولي، وعلى اطراف النزاع التزام بسط الحماية الضرورية للممتلكات الثقافية والحيلولة دون تدميرها او نهبها او العبث بها

لونا فرحات

الاعتداءات الإسرائيلية على المقدّسات في فلسطين سياسة ممنهجة يتّبعها الكيان المحتل ضد المقدسات الإسلامية والمسيحية. فمنذ احتلالها عام 1967 للضفّة الغربية والقدس، تتواصل الاعتداءات على المسجد الاقصى على نحو متكرر، وأبرزها إحراق المسجد في 21 آب 1969، ومنع المصلّين من الصلاة فيه وتدنيسه من قوات الاحتلال ومستوطنيه واقتحامه على نحو استفزازي مستمر، والتهديد بهدمه والقيام باعمال حفر وخلخلة أساساته سعياً لبناء هيكلهم المزعوم. كذلك لم تسلم أماكن العبادة المسيحية من الانتهاكات الإسرائيلية، من بينها الاعتداء على كنيسة بئر يعقوب للروم الأرثوذكس وسرقة كنائس عدة والاستيلاء على عقارات تعود إلى الوقف المسيحي، واحتلال القوات الإسرائيلية للكنيسة اللوثرية في بيت جالا، إضافة إلى إطلاق دعوات يهودية متطرّفة إلى حرق الكنائس والاعتداء على مشاركين في مسيرات شعانرية مسيحية وغيرها.

قصف متعمّد للاماكن الدينية في غزة

أماكن العبادة كانت أيضاً ضمن الأهداف المباشرة للطيران الإسرائيلي المهجي ضد غزة. يوثّق تقرير صادر عن مبادرة التراث من أجل السلام (منظمة غير حكومية تُعنى بحماية التراث الإنساني المعرّض للخطر مركزها إسبانيا) في السابع من تشرين الثاني 2023، المعالم الأثرية والدينية التي تعرّضت للدمار الكلّي أو الجزئي، من بين هذه المعالم التي دُمّرت بالكامل: كنيسة جباليا البيزنطية، كنيسة برفيريوس الأرثوذكسية، المسجد العمري، مسجد الشيخ شعبان ومسجد الظفر دمري، ومقبرة دير البلح، ودير القديس هيلاريون، ومقام خليل الرحمن، ومسجد السيد هاشم، ومقام الخضر، ومقام النبي يوسف. فماذا نعرف عن تلك المعالم الدينية؟

كنيسة جباليا البيزنطية تعود إلى العهد البيزنطي، بُنيت في عام 444 ميلادية، فيما كنيسة برفيريوس من أقدم الكنائس الأثرية في البلدة القديمة في غزة، وتقع في حي الزيتون. بُنيت عام 425 ميلادية على يد القديس برفيريوس وهي تضم ضريحه. أما مقبرة دير البلح فمن أهم المقابر التاريخية والأثرية، وتعكس تاريخ الشعب الفلسطيني على مدى عصور عدة، وقد كشفت تنقيبات أثرية بين عامَي 1972 و1982 أنّها أهم مقبرة تعود إلى العصر البرونزي المتأخّر، وتُنسب إلى ما يسمى «ملوك الفلسطينيين». ويعود تأسيس مسجد الظفر دمري إلى العصر المملوكي على يد الأمير شهاب الدين أحمد بن أزفير الظفر دمري. وتُعد تلّة أم عامر، وهي موقع القديس هيلاريون (في النصيرات)، من أبرز المعالم الدينية الأثرية وارتبط اسمها باسم القديس هيلاريون الذي عاد إلى غزة بعد رحلة روحية قضاها مع القديس أنطونيوس في صحراء سيناء، وأسّس ديراً للتّنسك في خربة أم عامر عام 329 ميلادية، والموقع كان مسجلاً ضمن اللائحة التمهيدية للتراث العالمي. والحق القصف الهمجي الإسرائيلي اضراراً بارضية فسيفساء لبقايا كنيسة أصلان البيزنطية. ويعتبر مسجد السيد هاشم من أشهر المساجد في غزة وأقدمها، وهو يضم ضريحاً تحت قبّته، يُعتقد أنه يعود إلى السيد هاشم بن عبد مناف، الجد الأكبر للنبي محمد(ص)، وبه تُعرف باسم غزة هاشم. المسجد العمري الكبير هو من أكبر مساجد غزة وأقدمها ويقع في مدينة غزة القديمة، وقد أطلق عليه هذا الاسم تكريماً للخليفة عمر بن الخطاب، وهو يقع فوق معبد قديم، حوّله البيزنطيون إلى كنيسة في القرن الخامس الميلادي، وبعد الفتح الإسلامي في القرن السابع حوّله المسلمون إلى مسجد. وقد وصفه الرحالة والجغرافي ابن بطوطة، في القرن العاشر الميلادي، بـ«المسجد الجميل».

إسرائيل بقصفها لكل المعالم التراثية الروحية تُضيف إلى سجلّها الإجرامي جريمة حرب أخرى، وهي تعمد إلى تدمير الأماكن الدينية التي تجسّد البُعد التاريخي والحضاري لفلسطين، بهدف طمس الهوية الثقافية لفلسطين التي تهدّد الادعاءات الصهيونية وتفضح تزييفها للتاريخ. وقد نجحت فلسطين عندما انضمت إلى منظمة اليونسكو في 31 تشرين الأول 2011، في تسجيل ثلاثة مواقع فلسطينية على لائحة التراث العالمي، هي كنيسة المهد ومسار الحجّاج في بيت لحم (2012). وفي عام 2017 استطاعت أن تسجل البلدة القديمة والحرم الإبراهيمي في الخليل كتراث ثقافي فلسطيني. وفي أيلول الماضي، صدر قرار عن اليونسكو بإدراج أريحا (تل السلطان) على لائحة التراث العالمي، وكان العمل جارياً لإعلان المواقع الأثرية والدينية في غزة تراثاً عالمياً.

> **الجيش الإسرائيلي اعتدى على كنيسة جباليا البيزنطية وكنيسة برفيريوس الأرثوذكسية ودير القديس هيلاريون**

حماية التراث الروحي في الصكوك الدولية

لا جدال في أن الاعتداءات الإسرائيلية على الأماكن المقدسة هو انتهاك جسيم للقانون الدولي الإنساني الذي يمثل المستوى الأول لحماية الممتلكات الثقافية في حالات النزاع المسلّح. فقد كُرّس أول نصوصه في اتفاقية بروكسل لعام 1874 للنظر في قوانين الحرب وأعرافها، وكان أحد أهدافها حماية دور العبادة من النزاع المسلّح، ونصّ على وجوب اتخاذ كل التدابير الضرورية لتجنيب المباني المخصّصة للعبادة والفنون والعلوم الضرر، وتبعته اتفاقية لاهاي الثانية لعام 1907 التي تنصّ في المادة 27 على أنه «في حالات الحصار أو القصف، يجب اتخاذ كل التدابير اللازمة لتفادي الهجوم قدر المستطاع على المباني المخصّصة للعبادة»، والمادة 56 التي تنص على أنه «يجب معاملة ممتلكات البلديات وممتلكات المؤسسات المخصّصة للعبادة والأعمال الخيرية والتربوية، والمؤسسات الفنية والعلمية، كممتلكات خاصة، حتى عندما تكون ملكاً للدولة، ويُحظَر كلّ حجز أو تدمير أو إتلاف عمدي لمثل هذه المؤسسات... وتتخذ الإجراءات القضائية ضد مرتكبي هذه الأعمال».

كذلك تنص البروتوكولات الإضافية لعام 1977 الملحقة باتفاقيات جنيف لعام 1949 على الحماية ذاتها. كما جاء في المادة 53 من البروتوكول الإضافي الأول أنه «تحظَر الأعمال الآتية: ارتكاب أي من الأعمال العدائية الموجّهة ضد الآثار التاريخية أو الأعمال الفنية أو أماكن العبادة التي تشكّل التراث الثقافي أو الروحي للشعوب».

المستوى الثاني من الحماية تؤمنه اتفاقية لاهاي لعام 1954، وهي الحجر الأساس لحماية الممتلكات الثقافية أثناء النزاع المسلّح سواء كان دولياً أو داخلياً. وبموجب هذه الاتفاقية، يتعيّن على الأطراف حماية جميع الممتلكات الثقافية، سواء كانت داخل أراضيها أو داخل أراضي الدول الأطراف الأخرى، عبر توفير الحماية العامة، وهي أولاً صون ممتلكاتها الثقافية من الآثار التي قد تنجم عن نزاع مسلّح (المادة 3) والامتناع عن استعمالها لأي غرض من شأنه أن يعرّضها للتدمير أو التلف في حالة نزاع مسلّح، وثانياً الامتناع عن توجيه أي عمل عدائي إزاء تلك الممتلكات الثقافية. وثالثاً حظر ومنع أي شكل من أشكال السرقة أو النهب أو التبديد للممتلكات الثقافية ووقف تلك الأعمال وحظر أي عمل تخريبي موجّه ضدها. أما في حالة الاحتلال فقد نصّ البروتوكول الأول لاتفاقية عام 1954 المتعلق بوضع الممتلكات الثقافية تحت الاحتلال في المادة الخامسة منه، على أنه يتعيّن على الدول الأطراف التي تحتل أراضي إحدى الدول الأطراف الأخرى وقاية ممتلكاتها الثقافية والمحافظة عليها بقدر المستطاع.

ماذا عن مسؤولية مرتكبي الاعتداء على اماكن العبادة اثناء النزاع المسلّح؟

وفقاً للاتفاقيات السابقة، تتحمل الدولة أولاً مسؤولية مدنية وفقاً للقانون الدولي الإنساني واتفاقية عام 1954 التي ترتب المسؤولية المدنية على الدولة المعتدية، بوجوب إعادة الحال إلى ما كان عليه أولاً، فإذا استحال ذلك عليها تقديم التعويض المالي وتقديم اعتذار رسمي. أما المسؤولية الجنائية فتترتب على الأفراد مرتكبي الاعتداءات، وهو ما نص عليه القانون الجنائي الدولي، وتحديداً بموجب نظام روما الأساسي للمحكمة الجنائية الدولية التي اعتبرت مادتها الثامنة أنه تجوز محاكمة من يقوم بالهجمات التي تستهدف عمداً المباني المخصصة للشعائر الدينية أو للأنشطة التعليمية أو الخيرية والآثار التاريخية والمستشفيات، شريطة ألا تكون أهدافاً عسكرية في نزاع دولي أو غير دولي، وتعتبر هذه الهجمات جرائم حرب.

الجدير ذكره في هذا السياق، أنّ عدم الانضمام لأي من هذه الاتفاقيات الدولية لا يعفي الدولة من الالتزام بما يفرضه القانون الدولي المدوّن، إذ إن كل النصوص المدوّنة في الاتفاقيات السابقة باتت جزءاً من القواعد الدولية العرفية الملزمة للدول.

القضاء الدولي ومعاقبة المعتدين.

شهدت الحرب التي وقعت في يوغسلافيا السابقة تدمير مئات المواقع الدينية والثقافية بشكل منهجي. وأكدت المحكمة الجنائية الدولية ليوغوسلافيا السابق، أن تدمير التراث الثقافي يُعد جريمة بموجب القانون الدولي العرفي. كما قررت أن الجرائم المنهجة ضد التراث الثقافي يمكن أن ترقى إلى جرائم ضد الإنسانية، «لأن البشرية جمعاء تتأذى بالفعل من تدمير ثقافة دينية فريدة». ويعتبر حكمها الصادر في آذار 2004 سابقة قضائية، إذ أدانت المحكمة متهمين لارتكابهم جرائم دولية عدة، من بينها التدمير أو الضرر المتعمّد لمؤسسات مكرّسة للدين أثناء حصار مدينة دوبروفنيك الكرواتية عام 1991.

كذلك أدانت المحكمة الجنائية الدولية في حكم صدر عام 2017 المدعو أحمد الفقي المهدي لارتكابه جريمة حرب تتمثّل في شن هجمات ضد مبانٍ مخصّصة للأغراض الدينية وآثار تاريخية أدت إلى تدمير مسجد تاريخي، إضافة إلى الأضرحة التراثية بين 30 حزيران و11 تموز 2012. وقد غرّمته المحكمة بمبلغ 2,7 مليون يورو تُدفع لأهالي تمبكتو ومبلغ رمزي آخر قيمته يورو واحد لدولة مالي ولمنظمة اليونسكو.

وشكّل حكم المحكمة الجنائية الدولية سابقة قضائية أيضاً، فقضية أضرحة تمبكتو كانت أول دعوى تنظر فيها المحكمة بشكل مباشر في مسألة الاعتداء على مبانٍ مخصّصة لأغراض دينية. ولكن السؤال: هل ستتكرر مثل هذه الدعوى في المستقبل ضد الكيان الصهيوني؟ فجريمة التدمير المتعمّد للمواقع الدينية، وإن باتت جريمة حرب، فإن توقيع العقوبة مرتبط بالإرادة السياسية للدول المعنية، والقضاء الدولي بأنواعه لا يستطيع التحرّك ما لم تتوافر هذه الإرادة.

لست وحدك في غزّة

ريما ناصر *

لم أشعر في حياتي بأنني عديمة الفائدة كطبيب وجرّاح كما أشعر اليوم. أتمنى لو كنت هناك في غزة معكم اليوم. معكم جميعاً. زملائي، أنتم تمنحوني كل يوم المزيد من الأسباب التي تشعرني بالفخر بأن الدم الفلسطيني يجري في عروقي. هذا الفخر الذي غرسه والديّ فيّ منذ ولادتي لم يكن طبعاً بلا مرجع وذكريات وشعور بالانتماء، انما اليوم، الآن... الآن أصبح الأمر مختلفًا. فلسطين اليوم تحيا في عروقي اكثر من أي وقت مضى.

قد يظن كل طبيب في غزة انه متروك وحده. ولوحده يتعامل مع مذابح جهنمية يرتكبها عدو ضعيف وبغيض بدعم من الآخرين الذين يروّجون للحروب. لكنك يا زميلي العزيز لست وحدك. كلنا معك. كل من لديهم إحساس بالإنسانية معك. كل من يؤمنون بالعدالة معك.

كلما اجري عملية جراحية في أي مكان أتمنى ان أكون معكم. عندما اعمل على تنظيف جرح المريض أو عندما اغسل يدي او اشرب كوب مياه... كل قطرة أتمنى أن أقدمها لك. فكيف يمكنكم العناية بالجرحى والمرضى بعدما قطع الجيش الإسرائيلي المياه عن المستشفيات؟

كثيرون يلتزمون الصمت خوفًا من فقدان وظائفهم علماً انهم يعيشون اليوم في "العالم الحر". ولن أضيع وقت أحد في نقاش عقيم او في عرض مفصّل للظلم الذي يتعرض له الشعب الفلسطيني منذ ما قبل 1948. أردت فقط من خلال هذه الكلمات أن أعتذر عن عدم امتلاكي القوة والشجاعة والتصميم والجرأة والشجاعة والقلب الذي يمتلكه زملائي الأطباء في غزة. إن مهنتنا مهنة نبيلة، حيث نقسم على المساعدة وعدم الإضرار. ربما لم يحلم أبقراط أبدًا بأن الأطباء سيضطرون إلى أن يشهدوا الجحيم الذي يشهدونه اليوم في غزة. ولا يمكن لأي منا أن يتخيل ما يجرى في المستشفيات في أسوأ الكوابيس.

ومع ذلك ها انتم تنقذون جرحى وتضحون بكل شيء للحفاظ على الحياة ...

إذا كان هناك أي قوة للخير في هذا العالم، فهي أنتم.

* جراحة فلسطينية مغتربة

جرائم الاحتلال

عمالة للعدو أم مجرّد وجهة نظر؟

سبق أن نشرت «القوس» مقالاً يميّز بين جرم العمالة وجرم خرق قانون مقاطعة إسرائيل وجرم دخول أراضي العدو (العدد 15، 15 نيسان 2022)، ولكلّ منها وصف جنائيّ مختلف. لكن ماذا عن جرم التطبيع؟ قد تكون البلاد بحاجة إلى توصيف مختلف للجرم يشدّد العقوبة ويوضحها، وفي الوقت نفسه يمنع توقيف الأبرياء ظلماً. وفي المقابل، فإنّ تضمين قانون مقاطعة إسرائيل حظر التطبيع يستدعي تعديل القوانين اللبنانية بشكل أكثر وضوحاً

صادف علوية

يسمع اللبنانيون ويقرؤون كلّ يوم عن وجهات نظر مختلفة إزاء العلاقة مع الاحتلال الإسرائيلي، بوصفه مصنّفاً في حالة العداء وفقاً للقوانين اللبنانية. فمنهم من يعتبر أنّ التعامل يشمل مشاركة ممثّل عن العدوّ في حلقة تلفزيونية مثلاً، في حين أنّ البعض الآخر يرى ذلك أمراً مسموحاً طالما كان الموقف على الملأ، باعتبار أنّ القانون اللبناني لا يمنع ذلك، وفقاً لزعمهم.

وفي إطار النزاع السياسي اللامتناهي، يخوّن اللبنانيون بعضهم البعض في حين أنّ الموقف الرسمي لجميع سلطات الدولة يكنّ العداء للعدو بشكلٍ واضح.

القانون يجزم أيّ اتصال مع العدوّ

من المحسوم قانوناً أنّ الصلات مع العدو غير مشروعة، فقد تناول قانون العقوبات مسألة دخول أراضي العدو، فنصت المادة 285 منه على أنّ كل لبناني وكلّ شخص مقيم في لبنان، أقدم أو حاول أن يقدم مباشرة أو بواسطة شخص مستعار على صفقة تجارية أو أيّ صفقة شراء أو بيع أو مقايضة مع أحد رعايا العدو، أو مع شخص ساكن في بلاد العدو، كما يُعاقب بذات العقوبة كلّ لبناني وكل شخص في لبنان من رعايا الدول العربية يدخل مباشرة أو بصورة غير مباشرة، ومن دون موافقة الحكومة اللبنانية المسبقة بلاد العدو لأيّ سبب كان.

يعاقب القانون كل لبناني وكل شخص في لبنان من رعايا الدول العربية زار بلاد العدو لأي سبب كان، سواء كان دخول بلاد العدو بشكل مباشر أو غير مباشر، ومن دون موافقة الحكومة اللبنانية المسبقة. ولكن، هل من الممكن أن توافق الحكومة مسبقاً على دخول أراضي العدو لكي يصبح الأمر مباحاً؟

من جهة أخرى يحقّ للقضاء ملاحقة أيّ لبناني أو أجنبي مقيم على الأراضي اللبنانية يتواصل مع العدو وهو على بيّنة من ذلك. لكن ماذا لو لم يكن على بيّنة؟ الأمر يستدعي من القضاء أن يكون دقيقاً كي لا يقع الافتراء، كما رأينا في أكثر من ملف، إذ باشر القائمون على التحقيقات بتسريب شكوكهم إلى الإعلام في عدد من الملفات، وتبيّن أنّ المتهم بريء بموجب حكم نهائي، فمن يُعيد إلى هذا المتهم كرامته؟ وعلى العكس من ذلك، فقد برّأت محكمة التمييز أحد العملاء الذين تأكّدت عمالتهم لسبب غير مقنع كما يثبت من الحكم الآتي.

محكمة التمييز وهيئة الاستشارات والتشريع: «العملاء أحياناً لطفاء»

عام 1998، اعتبرت محكمة التمييز في حكمها الصادر عن غرفتها السادسة الرقم 1998/214 أن تزويد أحد الأفراد اللبنانيين للعدو بمعلومات عن نشاطات الجبهة الشعبية - القيادة العامة والعمليات المنوي تنفيذها من قبلها ومنازل المسؤولين فيها، وكذلك عن بعض المسؤولين في حركة أمل وحزب الله، ليس جرم خيانة للوطن. إذ اعتبرت محكمة التمييز أنّ هذه المعلومات وإن كان يمكن للعدو الإسرائيلي استغلالها لغايات خاصة به، لا تتميّز بطابع السريّة والكتمان المقصود في المادة 281 عقوبات، إذ لا علاقة لها بسلامة الدولة اللبنانية، إنما فقط بأمن الجبهة الشعبيّة وحركة أمل وحزب الله، ولا سيما أنه ليس في التحقيق ما يُفيد عن أنّ توفير هذه المعلومات للإسرائيليين، كان يهدف إلى تمكينهم من الاعتداء على الدولة اللبنانية أو أراضيها. وخلُصت المحكمة إلى أنّ عناصر المادة 283 عقوبات تكون بذلك منتفية، وبانتفائها تنتفي أيضاً عناصر المادة 284 المعطوفة عليها؛ ما يقتضي منع المحاكمة عن المدعى عليه.

والمؤسف أنّ هيئة الاستشارات والتشريع سبق أن وقعت في هفوة مشابهة، عندما اعتبرت في استشارتها الرقم 2014/376 تاريخ 2014/5/27 أنّ المشترع، وتحديداً في ما يتعلق بالفقرة (2) من المادة الوحيدة من القانون الرقم 2011/194 - بسماحه للبنانيين وعائلاتهم الذين لم ينضووا عسكرياً وأمنياً ولجأوا إلى الأراضي المحتلة إثر تحرير الشريط الحدودي في 25 أيار 2000، والتجسّس ودس الدسائس عبر إقدام أيّ لبناني أو أجنبي مقيم في لبنان على التواصل مع العدو. ما يقضي بتعديل قانون العقوبات بشكل يشمل أي تواصل مع العدو ويجرّم إعطاء أية معلومات أيا كانت وعن أي لبناني أو أية جهة كانت.

> **يعاقب القانون كل لبناني وكل شخص في لبنان من رعايا الدول العربية زار بلاد العدو لأي سبب كان**

قانون مقاطعة إسرائيل ام حظر إدخال البضائع الإسرائيلية؟

بمراجعة قانون مقاطعة إسرائيل الصادر في حزيران من عام 1955، يتّضح أنّ مضمونه وكأنه محصور بالشؤون الاقتصادية، أي إن القانون ينحو تجاه حظر البضائع الإسرائيليّة فقط، وهذا الأمر يزداد تأكداً إذا ما قام المتابعون بمراجعة أسبابه الموجبة التي ورد فيها ما حرفيّته:

الحصار الاقتصادي المفروض على إسرائيل من لبنان وسائر الدول العربية يحتّم استصدار تشريع خاص ينظّم أعمال مقاطعة إسرائيل، فيحدد المسؤوليات ويعيّن الموجبات وينزل العقوبات بالمهرّبين من إسرائيل وإليها.

وهو ما يبرز أيضاً من المرسوم التطبيقي للقانون ذي الرقم 12562 تاريخ 19 نيسان 1963، مرسوم تنظيم مقاطعة إسرائيل والمرسوم الرقم 2896 تاريخ 16 كانون الأول عام 1959 المتعلّق بتنظيم وزارة الاقتصاد الوطني حين تم إتباع مكتب مقاطعة إسرائيل بوزارة الاقتصاد.

في عام 2018، أكّد مجلس شورى الدولة على أمرين: وجوب استمرار تطبيق قانون مقاطعة إسرائيل، وعلى الشقّ الاقتصادي للقانون.

بموجب قراره الرقم 682 /2017-2018 رفض مجلس شورى الدولة إبطال قرار وزير الاقتصاد، وبالتالي رفض إبطال قرار مجلس الوزراء في شقّه المتعلّق بحظر التعامل مع إحدى الشركات الأميركية. إذ تبيّن للمجلس أنّ الشركة المذكورة في قرار مجلس الوزراء، لها شركات فرعية في إسرائيل تدعم إنشاء المستوطنات، وتعتبر بالتالي في حكم الشركات المحظور التعامل معها وفقاً للفقرة الأخيرة من المادة الأولى من قانون مقاطعة إسرائيل الصادر بتاريخ 1955/6/23، ما اقتضى معه ردّ المراجعة لعدم ارتكازها على أساس قانوني سليم.

أن يصبح ملف العداء للاحتلال أمراً فيه وجهة نظر، خطب جلل يستدعي تعديل قانون العقوبات وقانون مقاطعة إسرائيل، وتضمين القانون الأخير حظر التطبيع يستدعي التعديل لهذه الجهة.

كيف يُدين العلم جرائم الحرب؟
أبعد من «شهادة»

جنان الخطيب

توصّلت منظّمة «هيومن رايتس ووتش»، استناداً إلى مقاطع فيديو تم التحقّق منها وروايات شهود، إلى أنّ قوات الاحتلال الإسرائيلية استخدمت الفوسفور الأبيض في عدوانها على جنوب لبنان وقطاع غزة. الفوسفور الأبيض، الذي يمكن

> **فحص الآثار والتدمير الحاصل على الهياكل او الجثث للكشف عن نوع السلاح المستخدم ومصدره**

استخدامه كستار دخان أو كسلاح، يتسبّب في ضرر للمدنيين بسبب الحروق الشديدة التي يسبّبها وأثاره الطويلة الأمد على الناجين. ووجدت المنظّمة «أن استخدامه في المناطق المكتظّة بالسكان في غزة ينتهك متطلّبات القانون الإنساني الدولي التي تقضي بأن تتخذ أطراف النزاع كل الاحتياطات الممكنة لتجنّب إصابة المدنيين والخسائر في الأرواح».

نفى جيش الاحتلال الإسرائيلي ما استخلصته «هيومن رايتس ووتش» بأنه استخدم الفوسفور الأبيض في عملياته العسكرية في غزة ولبنان. وقال في البداية إنّه «ليس لديه علم حالياً باستخدام الأسلحة التي تحتوي على الفوسفور الأبيض في غزة». ولاحقاً، أكّد مزاعمه قائلاً: «إن الاتهام الحالي بشأن استخدام الفوسفور الأبيض في غزة عار من الصحة بشكل لا لبس فيه».

وتقصف «إسرائيل» قطاع غزة وجنوب لبنان بقنابل الفوسفور الأبيض منذ بداية العدوان (راجع روزنامة الجرائم الإسرائيلية التي توثّق لحظة بلحظة القصف الإسرائيلي على قطاع غزة والضفة الغربية وجنوب لبنان).

التحقيق في جرائم الحرب عملية معقّدة وضرورية لمحاسبة الجناة وتعزيز العدالة للضحايا. تلعب الأدلة الجنائية دوراً أساسياً في التحقيق في جرائم الحرب، فهي بمثابة شاهد صامت ولكنه قوي على الفظائع المرتكبة. تساعد هذه الأدلة في تجميع أجزاء اللغز للكشف عن حقيقة ما حدث، وتحديد هوية الجناة، ومحاسبتهم على أفعالهم.

من المهم الإقرار بالتعقيدات التي تنطوي عليها تحقيقات جرائم الحرب. قد تكون أمام إمكانية الوصول إلى مسرح الجريمة وحفظ الأدلة وسلامة الشهود تحديات كبيرة. إن استخدام تقنيات التحليل الجنائي المتقدّمة والتعاون بين الخبراء الدوليين والالتزام بالأخلاقيات والتعليمات القانونية أمران حاسمان لضمان نزاهة وفعالية التحقيقات. وبالتالي من المفترض أن يكون هذا «السعي من أجل العدالة» موجّهاً بالمبادئ الأخلاقية والتزاماً بحقوق الإنسان.

التحقيق الجنائي في استخدام الأسلحة المحظورة

■ يعتمد التحقيق الجنائي في استخدام الأسلحة المحظورة على الفحص الدقيق للأدلة المادية لإعادة بناء الأحداث وتحديد نوع الأسلحة المحظورة المستخدمة. استناداً إلى الأدلة الجنائية، يُعيد المحقّقون بناء الأحداث التي وقعت، بما في ذلك نوع السلاح المحظور المستخدم، وتسلسل إطلاق النار، والمشتبهون المحتملون.

فحص وتوثيق مسرح الجريمة

■ تتمثل الخطوة الأولى في تأمين وفحص مسرح الجريمة بدقّة للتعرف إلى وحفظ أي دليل محتمل مرتبط بالسلاح المحظور، وهذا يشمل توثيق مسرح الجريمة عبر الصور والرسومات ومقاطع الفيديو. كما تعتبر سجلات الأحداث وشهادات الشهود أموراً بالغة الأهمية. قد تلعب المنظمات الدولية مثل الأمم المتحدة أو جمعيات حقوق الإنسان المستقلة دوراً هنا.

التحليل البالستي

■ تخضع أغلفة الطلقات والطلقات والأسلحة النارية نفسها لفحص دقيق للبحث عن علامات وشقوق وعلامات تعريف أخرى فريدة يمكن أن تربطها بأسلحة محظورة محددة. يساعد تحليل المقذوفات والطلقات والأسلحة النارية في كشف نوع السلاح المستخدم في جريمة الحرب. وعبر تحليل بقايا المتفجرات وشظاياها يمكن تحديد نوع القنابل وتتبع مصدرها. كما يُساعد فحص الآثار والتدمير الحاصل على الهياكل أو الجثث في الكشف عن نوع السلاح المستخدم ومصدره.

الأدلّة «الأثر»

■ يمكن أن تكون الجسيمات الصغيرة مثل بقايا البارود والشعر والألياف وشظايا السلاح المحظورة أدلةً حاسمة. وتُستخدم تقنيات متخصّصة للتجميع مثل الشفط (vacuuming) والحفظ بشرائط لاصقة.

التحليل المخبري

■ تمر الأدلة المجمّعة بتحليل مخبري دقيق باستخدام تقنيات متطوّرة مثل التحليل بالتنشيط النيوتروني . IAEA تكشف هذه التقنية عن التركيب العنصري للآثار الدقيقة، ما يساعد على مطابقتها بأسلحة محظورة أو ذخيرة محددة.

بناء القضية

■ تؤمّن الأدلة الجنائية بيانات ملموسة وموضوعية تعزز شهادة الشهود والأدلة الظرفية. كما تساعد في تحديد سلسلة الأحداث، وإثبات حدوث جريمة حرب بشكل لا يدع مجالاً للشك. تصبح البيانات المسجلة والمحلّلة أدلة قوية في قاعة المحكمة، تكشف عن الحقيقة الدامغة للأحداث.

الأسلحة المحظورة دولياً

هناك أنواع عديدة من الأسلحة المحظورة على المستوى الدولي بموجب معاهدات واتفاقيات مختلفة، تستعرض بعضها:

● الأسلحة الكيميائية: تشمل المواد الكيميائية السامة مثل غازات الأعصاب والعوامل المسبّبة للاختناق، وتلك المصمّمة لإحداث الأذى أو الموت عبر خصائصها الكيميائية. تحظّر اتفاقية حظر الأسلحة الكيميائية (CWC) لعام 1993 تطوير وإنتاج وحيازة وتخزين ونقل واستخدام الأسلحة الكيميائية. انضمت أكثر من 190 دولة إليها.

● الأسلحة البيولوجية: وهي عبارة عن عوامل بيولوجية (بكتيريا، فيروسات، سموم) أو سموم ناتجة من كائنات حية تهدف إلى التسبّب في الأمراض أو الموت أو الأذى للبشر أو الحيوانات أو النباتات. تحظر اتفاقية حظر الأسلحة البيولوجية (BWC) لعام 1975 تطوير وإنتاج وحيازة وتخزين ونقل الأسلحة البيولوجية. انضمت أكثر من 180 دولة إليها.

● بعض الأسلحة التقليدية: تندرج تحت هذه الفئة أنواع معينة من الأسلحة التقليدية التي يُعتبر تأثيرها مفرطاً أو غير تمييزي، وتسبّب معاناة لا داعي لها للمقاتلين أو المدنيين.

تحظر أو تقيّد اتفاقية الأسلحة التقليدية المعينة (CCW) لعام 1980 وبروتوكولاتها الخمسة استخدام:

● الأسلحة المصمّمة خصيصاً لتتحطم إلى قطع صغيرة لا يمكن اكتشافها في جسم الإنسان. ومن الأمثلة على ذلك الرصاص المجزّأ أو المقذوفات المملوءة بالزجاج المكسور.

● الألغام الأرضية: تُحظر الألغام الأرضية المضادة للأفراد المصممة لإصابة أو قتل البشر.

● الأفخاخ المتفجّرة: تُحظر الأجهزة المتفجرة التي تتنكر في شكل أشياء بريئة بهدف إلحاق الأذى أو القتل.

● الأسلحة الحارقة: يُقيّد استخدام الأجهزة المصمّمة لإشعال النيران في الأشياء أو الأشخاص ضد المدنيين.

● أسلحة الليزر المُعمية: تُحظر أجهزة الليزر المصمّمة خصيصاً لإحداث العمى الدائم.

● الذخائر العنقودية: وهي عبارة عن أجهزة متفجّرة تحتوي على ذخائر فرعية متعدّدة تتفرق على مساحة واسعة، ما يتسبّب في أضرار واسعة وخسائر كبيرة. تحظر اتفاقية الذخائر العنقودية (CCM) لعام 2008 استخدام وإنتاج وتخزين ونقل الذخائر العنقودية. انضمت أكثر من 110 دول إليها.

● الأسلحة النووية: في حين لا توجد معاهدة دولية شاملة تحظّر الأسلحة النووية، يُعتبر استخدامها غير قانوني على نطاق واسع بموجب القانون الدولي العرفي بسبب آثارها الإنسانية الكارثية. تهدف معاهدة عدم انتشار الأسلحة النووية (NPT) لعام 1968 إلى منع انتشار الأسلحة النووية، وتعزيز الاستخدامات السلمية للطاقة النووية. انضمت أكثر من 190 دولة إليها.

جرائم الاحتلال

منظّمات ألمانية ودوليّة تثير الشبهات

بحق الفلسطينيين، وعند النظر إلى ذلك الكتاب يلاحظ تحميل مخبير المنظمة المسؤولية عن عدم التحرك في هذا الملف الذي يتفاقم فيه الإجرام الإسرائيلي كل يوم، وقد اتّضح ذلك عبر كشف رئيس مكتب المفوضية السابق أنه أرسل رسالة تحذير مسبقة إلى المفوض السامي لحقوق الإنسان، فولكر تورك، اشترط فيها مخبير البقاء في منصبه مقابل تغيير الأمم المتحدة نهجها تجاه ما يحصل في غزة.

الخضوع لواشنطن

عند الحديث عن مفوض الأمم المتحدة لحقوق الإنسان، لا بدّ من التذكير بخضوعه لضغوط أميركية عام 2022، حين انصاع لأمر واشنطن بعدم تحديث القائمة السوداء للشركات العاملة في المستوطنات الإسرائيلية، إذ كانت الأمم المتحدة قد نشرت عام 2020 قائمة تضم عشرات الشركات الإسرائيلية التي تمارس أنشطة في المستوطنات التي تعتبر غير قانونية بحسب القانون الدولي. ونتيجة إعلان الإدارة الأميركية الحالية في ذلك الوقت عن ممارستها ضغوطاً على الأمم المتحدة، أبلغ تورك المسؤولين الأميركيين أنه قد يقوم بتحديث منخفض المستوى من دون الإعلان عنه رسمياً.

استقالات

تجدر الإشارة إلى أنه سبق أن استقال موظفون بسبب سياسة المنظمة تجاه الاحتلال الإسرائيلي، وفي مدة ولاية أنطونيو غوتيريش أيضاً. ففي عام 2017 استقالت المديرة التنفيذية للجنة الاقتصادية والاجتماعية لغربي آسيا (إسكوا)، ريما خلف الهنيدي، من منصبها احتجاجاً على قرار سحب المنظمة لتقرير أعدّته اللجنة حول نظام الفصل العنصري في أراضي الاحتلال، وكان قرار سحب ذلك التقرير صادراً عن الأمين العام للأمم المتحدة، أنطونيو غوتيريش.

ليس من المفاجئ إقامة منظّمات ومؤسسات دولية علاقات مع الاحتلال الإسرائيلي أو حتى تماشيها مع سياسات العدو بشكل سرّيّ أو علني، ولكن الصادم في الأمر تكرار تلك الكيانات المذكورة، رغم دعمها للاحتلال، شعارات تتضامن فيها مع فلسطين وخاصة غزة بعد الحرب، إضافةً إلى تنديدها بجرائم الاحتلال وتعبيرها عن «تخوّفها» مرات وعن «قلقها» مرات أخرى، وما يزيد الأمر سوءاً هو ظهور مئات الأخبار عن تصاريح لمسؤولين في بعض تلك المؤسسات المنظمات عند البحث عن أخبار غزة، تتمحور حول رفضهم للجرائم وتحذيرهم من تفاقمها، وتلك الأخبار تتزايد كل يوم وتستمر بوتيرة تدفع البعض نحو الانسياق خلف تلك الحالة المختلقة من دون معرفة الأهداف من كل ما يقال إعلامياً، والذي لا يراد منه إلا أن يبقى في الإطار الإعلامي.

> 40% من الشهداء في غزة هم من الأطفال الذين لم يلتمسوا بعد دور اليونيسيف

نفسها التي يستخدمها الاحتلال في الحرب الحالية. الجدير ذكره أن 40% من الشهداء في غزة هم من الأطفال الذين لم يلتمسوا بعد دور المنظمة المعنية بالطفولة التي ترأسها راسل.

شرط مخبير البديهي

في المقابل، أعادت استقالة رئيس مكتب مفوضية الأمم المتحدة لحقوق الإنسان، كريغ مخبير، دور الأمم المتحدة إلى الواجهة في ظل ما تواجهه غزة من عدوان وحشي يشنّه الاحتلال الإسرائيلي عليها. ففي كتاب استقالته، شدّد مخبير على فشل منظمة الأمم المتحدة في الحد من الجرائم التي تُرتكب ووزارة التربية والتعليم، بتمويل أساسي من مؤسسة «هانز سايدل». عند المقارنة بين الشراكة التي قامت بها هذه المؤسسة وتلك التي قامت بها «كونرد أديناور»، نلاحظ الطابع الثقافي الذي يستهدف الشباب الذين لا يزالون يتابعون دراستهم. كما يبدو واضحاً تعمّد تلك المؤسّسات استخدام مصطلحات «التعايش» و«الصراع»، وهي مفردات مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بالمراحل التي مرّت ولا تزال تمرّ بها القضية الفلسطينية.

اليونيسف: تضارب مصالح عائلية

توم دونيلون، هو زوج مديرة منظمة الأمم المتحدة للطفولة «يونيسف» كاثرين راسل. دونيلون محامٍ أميركي ومدير أبحاث شركة «بلاك روك». في مقال للكاتب مجد كيال في موقع «أوريال 21»، أشار فيه إلى أن «بلاك روك»، أكبر شركة لإدارة الاستثمار، وجهت أكثر من 13 مليار دولار من الاستثمار إلى خزائن أكبر شركات تصنيع الأسلحة في الولايات المتحدة الأميركية، خصوصاً تلك التي تهتم بصناعة الأسلحة المحظورة دولياً مثل الفوسفور الأبيض والقنابل العنقودية، وهي الأسلحة

حيلة «ثقافة السلام»

مؤسسة ألمانية أخرى يطفو دفعها إلى «العيش المشترك» و«السلام» على سطح أهدافها في الشرق الأوسط، وهي مؤسسة «هانز سايدل». ففي مقالة تتحدّث عن تجربته الشخصية، اعترف الصحافي الأميركي غيرشون باسكين أنه أثناء وجوده في «إسرائيل» أنشأ «معهد التربية من أجل التعايش العربي اليهودي»، وأداره بالشراكة مع رئيس الوزراء

اعتراض طلّابيّ

في خطاب ممثلة المكتب اللبناني من المؤسسة الألمانية في الحفل، اعترض بعض الشباب من اللّجنة الطلّابيّة اللّبنانيّة على مشاركتها في الحفل نظراً إلى توجّهات الفرع الأساسي للمؤسسة الداعم للاحتلال، كما عمد الشبان إلى الهتاف بشعارات مؤيّدة للقضية الفلسطينية قبل أن يتدخّل عناصر أمن الجامعة ما أدى إلى تدافع بين الطرفين.

عباس عثمان

افتتحت مؤسسة «كونرد أديناور» مكتباً لها في بيروت عام 2016. المؤسّسة الألمانيّة سمّيت على اسم أول مستشار لألمانيا كانت تربطه علاقات قويّة بالاحتلال الإسرائيلي، وكان يسعى إلى تقوية الرّوابط بين الدّولتين عبر «التّعويض قدر الإمكان عن الظّلم الذي تعرّض له اليهود على يد الألمان». حتى يومنا هذا، لا تزال هذه المؤسّسة مستمرّة على النّهج ذاته في مكاتبها وفروعها كافة حول العالم. ففي لبنان، تركزت برامج المكتب حول منع الصراعات، وهنا لا بدّ من طرح علامة استفهام، إذ للبنان صراع أوحد وذو أولوية وهو الصراع مع العدو الإسرائيلي.

في 19 كانون الأول الجاري، نظّمت مؤسسة Smart Center للتدريب على المناظرات تحت شعار «الشّباب يتناظرون لبناء السلام»، حفل تخرّج، في إحدى الجامعات اللبنانية، لدفعة من خريجي برنامج تدريب. وكان لافتاً في الحفل تكرار الإشارة إلى الجهة الدّاعمة الأبرز للمؤسسة وهي «كونراد أديناور - لبنان» التابعة للمؤسّسة الألمانية الأم والتي لا تزال تنشر باستمرار دعمها للاحتلال الإسرائيلي في حربه على المدنيين في غزة.

ملخص العدوان من 15 حتى 21 كانون الأول

300 مجزرة وأكثر من 5,000 شهيد و17,000 جريح في الأيام العشرين التي تلت الهدنة

اليوم 70 (الجمعة 15 ك1):

- **نادي الأسير الفلسطيني:** ارتفاع عدد المعتقلين على أيدي قوات الاحتلال في مدن الضفة الغربية منذ 7 أكتوبر إلى 4420 عقب اعتقال 16 آخرين أمس.
- **مكتب الإعلام الحكومي في غزة:** 7500 مفقود تحت ركام المباني والمنازل التي قصفها الاحتلال في قطاع غزة، حتى الآن.
- **مكتب الإعلام الحكومي في غزة:** 89 صحافياً استشهدوا في قطاع غزة جرّاء العدوان الإسرائيلي المستمر منذ 7 أكتوبر.
- **مكتب الأمم المتحدة للشؤون الإنسانية:** 1.9 مليون نازح في غزة بحاجة ماسة إلى المأوى والطعام والماء النظيف والصرف الصحي.
- **وزارة التربية والتعليم الفلسطينية:** 278 مدرسة حكومية و65 مدرسة تابعة لـ«أونروا» تعرضت للقصف والتخريب في قطاع غزة الأمر الذي أدّى إلى تعرض 83 منها لأضرار بالغة و7 للتدمير بالكامل، كما تعرضت 38 مدرسة في الضفة للاقتحام والتخريب.

■ اليوم 71 (السبت 16 ك1):

- **هيئة شؤون الأسرى:** ارتفاع عدد المعتقلين على أيدي قوات الاحتلال الإسرائيلي في الضفة الغربية بعد 7 أكتوبر إلى نحو 4520.
- **وزارة الصحة في غزة:** قوات الاحتلال قصفت أمس مركز «الصحابة» وهو الوحيد للولادة في غزة حالياً.
- **وزارة الصحة في غزة:** جيش الاحتلال دمر بالكامل الجزء الجنوبي لمستشفى كمال عدوان، وما زال يستهدف كل من يتحرك في المستشفى. 12 طفلاً ما زالوا داخل الحاضنات في مستشفى كمال عدوان من دون ماء ولا غذاء.
- **الدفاع المدني في غزة:** 35 من كوادرنا استشهدوا منذ السابع من أكتوبر بعد استهدافهم من قبل الاحتلال خلال أداء عملهم في إنقاذ الناس.
- **الصحافي عماد زقوت من شمال قطاع غزة:** أكثر من 20 جثة لشهداء موجودة في ساحة مستشفى كمال عدوان بعد أن دهستهم جرافات الاحتلال.

■ اليوم 72 (الأحد 17 ك1):

- **هيئة شؤون الأسرى:** الاحتلال الإسرائيلي يعتقل 20 فلسطينيا على الأقل في الضفة الغربية ليرتفع عدد المعتقلين منذ 7 أكتوبر إلى 4540.
- **وزارة الصحة:** 505 شهداء في الضفة الغربية منذ بداية العام الجاري، بينهم 111 طفلاً، وبعد السابع من أكتوبر بلغت حصيلة الشهداء 297 شهيداً بينهم 70 طفلاً.
- **رئيس بلدية النصيرات وسط قطاع غزة:** أكثر من 400 ألف مواطن ونازح في مخيم النصيرات مهددون بالجوع والعطش بسبب العدوان الإسرائيلي. نحذر من انتشار الأوبئة بسبب تراكم كميات كبيرة من النفايات ومياه الصرف الصحي في الشوارع. نطالب الأونروا وجهات الإغاثة بتحمل مسؤولياتها فمراكز الإيواء تفتقر إلى أبسط مقومات الحياة.
- **مدير عام وزارة الصحة في غزة، منير البرش:** الاحتلال قصف منزلي عائلتي البرش وعلوان في جباليا البلد، وانتشلنا 33 شهيداً من بينهم أكثر من 15 طفلاً، وهناك أكثر من 100 مفقود.
- **المدير العام لمنظمة الصحة العالمية تيدروس غيبريسوس:** الأطفال والنساء يمثلون 70% من الضحايا في العدوان الإسرائيلي على قطاع غزة.

■ اليوم 73 (الإثنين 18 ك1):

- **مؤسسات الأسرى:** اعتقلت قوات الاحتلال الإسرائيليّ مُنذ مساء أمس وحتّى صباح اليوم 35 مواطناً على الأقل من الضّفة والقدس لترتفع الحصيلة بعد السابع من أكتوبر إلى أكثر من 4575.
- **الصحة في غزة:** 151 شهيداً و313 جريحاً بسبب المجازر التي ارتكبتها قوات الاحتلال في الساعات الماضية وخصوصا في جباليا.
- **هيومن رايتس ووتش:** الاحتلال يستخدم تجويع المدنيين سلاحا في قطاع غزة ما يشكل جريمة حرب، من خلال منع إيصال المياه والغذاء والوقود وعرقلة وصول المساعدات.
- **المكتب الإعلامي الحكومي في غزة:** الاحتلال قتل 95 صحافياً منذ بداية الحرب على غزة.
- **المكتب الإعلامي الحكومي في غزة:** 300 شهيد من الطواقم الطبية قضوا بنيران الاحتلال منذ بدء العدوان. وهدم الاحتلال أكثر من 300 ألف وحدة سكنية في القطاع بشكل كلي أو جزئي. ورصدنا 227 ألف حالة إصابة بأمراض معدية بسبب النزوح.
- **المتحدث باسم الهلال الأحمر الفلسطيني:** 18 سيارة إسعاف فقط تعمل في جنوب قطاع غزة بعد خروج الشمال من الخدمة.

■ اليوم 74 (الثلاثاء 19 ك1):

- **نادي الأسير الفلسطيني: الاحتلال الإسرائيلي أصدر أكثر من 2220 أمر اعتقال إداري بين أوامر جديدة وتجديد منذ السابع من أكتوبر.**
- **المكتب الإعلامي الحكومي في غزة:** 1,697 مجزرة. 8,000 شهيد من الأطفال. 6,200 شهيدة من النساء. 355,000 مصاب بالأمراض المعدية نتيجة النزوح.
- **مكتب الإعلام الحكومي:** 97 صحافياً استشهدوا منذ بداية الحرب على غزة.
- **المرصد الأورومتوسطي لحقوق الإنسان:** 71% من سكان قطاع غزة يعانون من مستويات حادة من الجوع. 98% من سكان قطاع غزة يعانون من عدم كفاية استهلاك الغذاء. 64% يتناولون الحشائش والثمار والطعام غير الناضج والمواد منتهية الصلاحية لسد الجوع. معدل الحصول على المياه، بما في ذلك مياه الشرب ومياه الاستحمام والتنظيف يبلغ 1,5 لتر للشخص الواحد يوميًا.
- **مدير عام وزارة الصحة في غزة، منير البرش:** 16 شهيداً و75 إصابة جراء قصف الاحتلال لمنزلين في مخيم جباليا.
- **الناطق باسم وزارة الصحة، الدكتور أشرف القدرة:** قوات الاحتلال الإسرائيلي تحول مستشفى العودة الى ثكنة عسكرية، واعتقلت 240 شخصاً منهم 80 كادراً طبياً و40 مريضاً و120 نازحاً داخل المستشفى بلا ماء أو طعام أو دواء وتمنع الحركة بين الأقسام. كما اعتقلت 6 من كوادر المستشفى بينهم مديره الدكتور أحمد مهنا بالإضافة لمريض ومرافق.
- **مدير مستشفى أبو يوسف النجار:** لا يوجد علاج أو دواء لنحو مليون و300 ألف شخص في مراكز إيواء رفح. لا نملك أي علاج لمرضى السرطان سوى المسكنات وهم مهددون بالموت مع استمرار الوضع الحالي. 34 شهيداً في رفح أمس أغلبهم من النازحين جراء القصف الإسرائيلي المستمر.

	الشهداء	الجرحى
قبل الهدنة	اكثر من 14854	اكثر من 36000
يوم 56	146	NA
يوم 57	207	4650
يوم 58	316	666
يوم 59	NA	NA
يوم 60	725	2300
يوم 61	NA	NA
يوم 62	929	2384
يوم 63	310	480
يوم 64	213	2300
يوم 65	297	449
يوم 66	208	416
يوم 67	207	355
يوم 68	196	594
يوم 69	179	303
يوم 70	NA	NA
يوم 71	NA	NA
يوم 72	NA	NA
يوم 73	666	1389
يوم 74	214	NA
يوم 75	333	NA

ملاحظة: على الرغم من بذل الجهد لضمان الدقة، تجدر الإشارة إلى أنه قد توجد بعض التباينات في التفاصيل بسبب الاعتماد على مراجع متعددة وعدم صدور بيانات بشكل دائم عن وزارة الصحة الفلسطينية.

- **المتحدث باسم الصحة الفلسطينية:** الاحتلال يتعمد تدمير المنظومة الصحية في قطاع غزة واستهدف 140 مركزاً صحياً منذ 7 أكتوبر.
- **اليونيسيف:** الأطفال الذين يتعافون من البتر بمستشفيات غزة يُقتلون فيها.

■ اليوم 75 (الأربعاء 20 ك1):

- **نادي الأسير الفلسطيني:** قوات الاحتلال اعتقلت 25 مواطنا في الضفة بينهم أطفال وسيدة لترتفع حصيلة الاعتقالات إلى 4630 منذ 7 أكتوبر.
- **المرصد الأورومتوسطي لحقوق الإنسان:** تلقينا شهادات عن إعدامات ميدانية قام بها جيش الاحتلال لـ 15 شخصًا من عائلات عنان والغلاييني والعشي والشرفا في مناطق التوغل. وشاهدة قالت إن الجيش أجبروا الشبان في بنياتهم السكنية على خلع ملابسهم ثم أطلقوا الرصاص عليهم أمام عيون نساء العائلة، ومن بينهم زوجها وأبناؤها الثلاثة وإخوتها، ثم جمعوا النساء في غرفة وأطلقوا القذائف تجاههم.
- **مكتب الإعلام الحكومي في غزة:** 308,000 وحدة سكنية دمرها الاحتلال.
- **وزارة الصحة:** 355 ألف إصابة بأمراض جلدية معدية في قطاع غزة.
- **المكتب الإعلامي الحكومي في غزة:** ارتكب خلالها جيش الاحتلال 1,700 مجزرة، راح ضحيتها 26,700 شهيداً ومفقوداً، بينهم 20,000 شهيد ممن وصلوا إلى المستشفيات، منهم 8,000 شهيد من الأطفال، و6,200 شهيدة من النساء، و310 شهداء من الطواقم الطبية، و35 شهيداً من الدفاع المدني، و97 شهيداً من الصحفيين. ومازال 6,700 مفقودٍ إما تحت الأنقاض أو أن مصيرهم مازال مجهولاً. وإن 70% من هؤلاء هم من فئة الأطفال والنساء. فيما أصيب 52,600 مصاباً.
- **المكتب الإعلامي الحكومي:** أكثر من 1.8 مليون شخص في قطاع غزة أصبحوا نازحين ونحو 2,4 مليون إنسان يعانون من أجل توفير الغذاء والدواء والماء النظيف.

■ اليوم 76 (الخميس 21 ك1):

- **الناطق باسم وزارة الصحة في غزة، أشرف القدرة:** مئات الجرحى يفارقون الحياة نتيجة عدم توفر الخدمات الصحية في مجمع الشفاء الطبي وخروج مستشفيات شمال غزة عن الخدمة.
- **منظمة الصحة العالمية:** شمال غزة أصبح بلا أي مستشفيات قادرة على العمل.
- **منظمة الصحة العالمية:** منذ 7 أكتوبر وثقنا 493 اعتداء على عمال بالرعاية الصحية في الأراضي الفلسطينية أدت إلى 500 حالة وفاة ونحو 700 مصاب.
- **منظمة الصحة العالمية:** نتوقع تفشي بعض الأمراض في غزة إذا لم يتم توفير المياه النظيفة وإدخال المساعدات الطبية.
- **منظمة الصحة العالمية:** هناك انخفاض كبير في أعداد الطواقم الطبية ولا يوجد سرير شاغر للمرضى في المستشفيات في غزة.
- **الهلال الأحمر الفلسطيني:** قصف إسرائيلي على محيط مستشفى الأمل بخان يونس وسط حالة من الرعب والهلع بين المرضى والنازحين.
- **المكتب الإعلامي الحكومي في غزة:** ندين ونندد بأشد العبارات قصف وتدمير طائرات الاحتلال الحربية "الإسرائيلية" لمقر المكتب الإعلامي الحكومي ولمقر شبكة الرأي الفلسطينية التابعة للمكتب في مدينة غزة.
- **المكتب الإعلامي الحكومي:** جيش الاحتلال قتل خلال حرب الإبادة الجماعية على قطاع غزة منذ 7 أكتوبر (97 صحفياً وصحفية) بينهم شهداء من المكتب الإعلامي الحكومي، واعتقل 8 صحفيين وأصاب العشرات منهم، وهذا يدلل على أن كل من يعمل في حقل الصحافة والإعلام هو في دائرة القتل والاستهداف المتعمد، في إطار سياسة الترهيب والتخويف الفاشلة.
- **الهلال الأحمر الفلسطيني:** 800 ألف فلسطيني في المناطق الشمالية لقطاع غزة محرومون من الخدمات الطبية.

إجـــرام إسرائيلـــي متفلت

المراحل العشر للإبادة الجماعية

[مؤسسة بريطانية تعنى بإحياء ذكرى محرقة اليهود في اوروبا كانت قد حددت هذه المراحل مقدمة امثلة من زمن الحرب العالمية الثانية]

1 التصنيف

الإسرائيليون يصنفون انفسهم «شعب الله المختار» ويستخدمون صورة نمطية لتصنيف الفلسطينيين اشخاصا متخلفين ارهابيين لا يستحقون الحياة الكريمة

2 الترميز

الترميز هو المظهر المرئي للكراهية. الكفية واللوب الفلسطيني المطرز واللباس الشرعي الإسلامي من مظاهر الكراهية بالنسبة للإسرائيليين

3 التمييز

تمنح الحقوق والامتيازات لليهود والإسرائيليين بينما تحرم غير اليهود والفلسطينيين من ابسط الحقوق الإنسانية

4 التجريد من الإنسانية

يستخدم الإسرائيليون اوصافاً مهينة ولاإنسانية للحديث عن الفلسطينيين ويعتونهم بالحيوانات والنباتات والارهابيين

5 التنظيم

يخطط الإسرائيليون منذ ما قبل عام 1948 للسيطرة على ارض فلسطين من خلال تهجير او تصفية الشعب الفلسطيني وينظم قواته العسكرية وموارده المالية وعلاقاته الدولية لتنفيذ هذه الخطط

6 الاستقطاب

تدل نتائج عدد من استطلاعات الراي بين الإسرائيليين ان الغالبية الساحقة يؤيدون محو قرى فلسطينية باكملها وقتل كل من فيها

7 الإعداد

يخطط الاسرائيليون لإبادة الشعب الفلسطيني ولا شك ان عدم الاعتراف بذلك علناً هو جزء من خطتهم. فيعلنون انهم يواجهون الإرهابيين بينما العدد الاكبر من ضحاياهم اطفال ونساء وشيوخ ومرضى ومعوقون

8 الاضطهاد

يتم تحديد الضحايا بسبب انتمائهم الوطني الفلسطيني وبسبب انتمائهم الديني الإسلامي والمسيحي ويتم عزل الفلسطينيين ومحاصرتهم في الضفة وغزة

9 الإبادة

يقوم الإسرائيليون بقتل الفلسطينيين في حملة عنف متعمدة ومنهجية مستخدمين احدث انواع الاسلحة واكثرها فتكاً

10 الإنكار

ينكر الإسرائيليون ومعهم حلفاؤهم الامبركيون والاوروبيون وجود اي جريمة. ولا يكفون عن تبرير الابادة الجماعية بوصفها «حق اسرائيل بالدفاع عن النفس»

القوس

■ فريق التحرير: عمر نشابة (المسؤول)، وفيق قانصوه، جنان الخطيب، صادق علوية، ألف باء القانون
■ تصميم فني وإنفوغرافيك: رامي عليّان

alqaous al_qaous alqaous22 alqaous 01/34 99 54
info@alqaous.com www.alqaous.com